الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر
تخصص حضارات قديمة الموسومة بـ

الصراع الديني في بلاد المغرب القديم

(المسيحية و الدوناتية) 180م – 411م

إعداد الطلبة:

- بوعمود الحبيب
- طيبي أحمد
- حاج شعيب أحمد

إشراف الأستاذة:

د. مصدق روبا

- أعضاء لجنة المناقشة:

د. حشلاف محمد	رئيسا
د. مصدق روبا	مشرفا و مقررا
د. مجاني عز الدين	مناقش

السنة الجامعية : 2021–2022 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا(14) هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُون عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا(15)

صدق الله العظيم

من سورة الكهف الآية 13– 14–15 برواية حفص عن عاصم

شكر و عرفان

الحمد لله السميع العليم ذي العزة و الفضل العظيم و الصلاة و السلام على المصطفى الهادي الكريم.

من باب "من لم يشكر الناس لم يشكر الله" نتقدم بخالص الشكر و التقدير للأستاذة المشرفة الدكتورة "مصدق روبا"، على ما حضينا به من إشراف كريم، و صبر جميل و توجيه مفيد ونصح سديد.

كما نتقدم بالشكر و التقدير للأساتذة المحكمين، وإلى أصدقائنا و زملائنا الّذين ساعدونا في إنجاز هذا العمل،

كما نتقدم بالامتنان لجامعة ابن خلدون وخاصة كلية العلوم الإنسانية وأساتذتها الكرام الذين قدموا لنا الدعم و المساعدة

و ختاما شكرنا إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد لإنجاز هذا العمل.

الإهداء

الحاج شعيب : إلى الّتي ربتني و علمتني معنى الحياة أمي كلثوم ....إلى من سعى لرقيي و نجاحي، و تعب من أجلي أبي محمد.....

طيبي أحمد : إلى ريحانتي و قرة عيني أمي عربية و معلمي و قدوتي أبي بوعلام رحمه الله

بوعمود الحبيب : إلى الوالدان اللّذان تعبا في تربيتي و تعليمي يرحمهما الله و يسكنهما فسيح جنانه

إلى كلّ طالب علم... إلى من تعب و هو يبحث عن الماضي ليجد الحاضر في

طيات الكتب ... إلى من اكتشف و حلّل و نسَّق قصص التاريخ من مناهل الكتب ...

إلى كل من احمرت جفناه من تصفح التاريخ...إلى من يحترق قلبه شغفا لمعرفة ماضي من سبقونا...

إلى من تقوم برعاية بيوتنا و تشجيعنا ،سندنا في الحياة، الزوجة ... إلى أجيال المستقبل و حاملي لواء

العلم من بعدنا، أولادنا ، مريم، آمين، ياسين .

إلى مصابيح حياتي شقيقاتي .....و إلى من يستند عليهم قلبي إخوتي

إلى كل أصدقائنا...إلى كل من مدّ لنا يد العون... في إعداد و تخريج

صفحات هذا العمل ...إلى كل من نستهم أقلامنا ولم تنساهم قلوبنا ....

و لكل من آمن بالله ربا...و بالإسلام دينا...

و بمحمّد رسولا و نبيا ...ﷺ...

المقدمة

مقدمة

شهد العالم ظهور ديانة سماوية ثانية بعد اليهودية هي الديانة المسيحية، والمعروف أنها ديانة شرقية انطلقت بالتحديد من القدس (أورسالم- أور شاليم) وأصبحت إحدى الديانات الكبرى التي انتشرت في العالم القديم بشكل كبير جدا عن طريق الرسل والمبشرين.

والمغرب القديم كان منطقة لانتشار الديانة و الفكر المسيحي، مما أدى الى صراع بين السلطة الزمنية المتمثلة في رد فعل الأباطرة الرومان للقضاء على الجماعة المسيحية واضطهادهم بشتى أنواعه لينتهي هذا الدين، إلّا أنهم لم ينجحوا في ذلك، رغم تلك المحاولات تم في الأخير الاعتراف بها كديانة رسمية وهذا في القرن الرابع للميلاد في عيد الإمبراطور قسطنطن عام 312م وفق مرسوم ميلان ليتسنى السيطرة عليهم، لتأخذ المسيحية في المغرب القديم منحى أخر، حيث ظهرت انشقاقات في الكنيسة الكاثوليكية المعترف بها رسميا من طرف السلطة يتولد عنها صراع ديني، من بداية ظهورها في القرن الأول للميلاد الى غاية أوائل القرن الخامس للميلاد.

من الناحية الجغرافية، الموقع الجيوستراتيجي لبلاد المغرب القديم جعل منها نقطة اتصال رافدة للمؤثرات الحضارية والدينية الشرقية بحكم التواجد الفنيقي بالمنطقة منذ القرن الثامن قبل الميلاد، والتواجد الروماني وسقوط قرطاجة سنة 146 قبل الميلاد.

عملت روما على توسيع نفوذها في بلاد المغرب القديم الممتد من الحدود الشرقية لمصر الى المحيط الاطلسي غربا. وعملت على توزيع الأراضي على المعمرين بالرغم من المقاومات العنيفة إلا ان توطيد الاستعمار الروماني أقدامه شرع في ترسيم الحدود وتعبيد الطرق لربط المدن فيما بينها وانشاء مراكز عسكرية واللوتيفوندات فلاحية و تم تقسيم المغرب القديم الى ثلاث ولايات. إفريقيا بروقنصلية وتضم تونس وطرابلس وجانب من شرق الجزائر حاليا ويشرف عليها بروقنصل، ثم نوميديا وتضم الجزائر إلى مصب المساقا (الواد الكبير) عاصمتها كيرتا (قسنطينة)[1].

[1] محمّد العربي العقون، الاتحاد السيرتي منذ االستلاء سيتيوس على سيرتا (46 ق.م) الى احداث القرن الرابع , أطروحة دكتورة العلوم في التاريخ القديم , ج 1 , جامعة منتوري و قسنطينة ,قسم التاريخ والاثار ,2005/2004/ و ص 93.

موريطانيا وتمتد من الحدود الغربية لنوميديا الى واد ملوية غربا ومنها تجزأت موريطانية السطائفية 285م و موريطانيا الطنجية ويحكمها بروكيراتور، وبقيت القبائل المستقلة خارج حدود الليمس (خط دفاعي وضعته روما كحصن يفصل المقاطعات الخاضعة لها عن القبائل) مثل الباوار والبقواط والموزولامي[1].

كما عرف سكان المغرب القديم عدة ديانات وثنية محلية المتمثلة في عبادة الشمس والقمر وآلهة فنيقية كتانيت وبعل حمون وأخرى وافدة شرقية تمثلت في عبادة آمون في صورة الكبش المقدس إله الشمس وآلهة نيت وآلهة ايزيس وآلهة أوزريس وغيرها، أما الديانة الرومانية فمنذ وطئت أقدامها المغرب القديم تمثلت في عبادة الامبراطور فوق كل عبادة، فبالرغم من محاولة روما نشر عبادة الامبراطور إلا أنها لم تستطع التغلغل في نفوس السكان إلى غاية القرن الثاني للميلاد ودخول المسيحية إلى بلاد القديم[2].

وفي منتصف القرن الثاني للميلاد وصلت الديانة المسيحية إلى منطقة المغرب القديم التي استطاعت استقطاب أنصار لها، مما ازعج السلطة الرومانية (الوثنية)[3]، وقد ازداد عدد الاتباع لهذه الديانة الجديدة في المغرب القديم، شكل أمرا خطيرا عليها وهدد استقرارها وظهورها الّذي هز كيان الإمبراطورية في ظل الانحلال والضعف والفساد من كل الجوانب السياسية و الإقتصادية والإجتماعية التي شهدتها وحتى العسكرية لتأتي الدينية لتزيد من الأمر تعقيدا[4].

ما دفعنا لاختيار هذا الموضوع هو حب الاطلاع و هو ما يميز أي ذات باحثة في اشكاليات البحث الأكاديمي، وشغفنا بمعرفة مدى الإنتصار الذي حققته المسيحية، و كل هذا في ظل مواجهة سلطة و المتمثلة في سلطة الأباطرة الرومان بين فترات اللين والشدة على أتباع المسيحية.

---

[1] د. مصطفى اعشى، النقائش ومعاهدات السلام بين البكوات الامازيغ والرومان في موريطانيا الطنجية، مذكرة تخرج حول القبائل معسكر خلال القرنيين الثاني و الثالث للميلاد، الرباط 2004، ص 16.

[2] بور مُحَّد و برابح حياة، القبائل الليبية المنتشرة في الجزائر خلال فترة الاحتلال الروماني، مذكرة تخرج ليسانس تحت إشراف الاستاذة صندوق ستي، جامعة معسكر 2011/2010، ص 23.

[3] عمار المحجوبي، جيفري برناندر، ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني الى نهاية العهد السويري (146ق.م – 235م) و مركز النشر الجامعي تونس 2001، ص–ص 149-150.

[4] زوقارت أمينة، الديانة المسيحية ببلاد المغرب القديم "الاحتلال الروماني"، مذكرة تخرج ليسانس، جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر، 2004/2003 , ص 84.

مع ظهور انشقاقات كنسية، وكذا الثورات باسم الكنيسة الدوناتية[1]، زيادة على ذلك معرفة التاريخ الديني للمغرب القديم كمنطقة يهمنا تاريخها العريق .

للوصول الى هدفنا تبادرت لنا عدة تساؤلات حاولنا قدر المستطاع الإجابة عنها وفق المنهج العلمي التحليلي المقارن، انطلاقا من الاشكالية الرئيسية التي تمثلت في **انتشار المسيحية والصراع الديني في المغرب القديم** ومن بين أهم التساؤلات التي تبادرت لنافي البحث منها:

– كيف ظهرت المسيحية في المغرب القديم؟

– ما العوامل التي ساعدت في ظهورها وانتشارها في المنطقة ؟

– ما موقف السلطة الزمنية الرومانية منها؟

– هل اصطدمت مع باقي الأديان التي شهدها المغرب القديم خاصة في ظل التسامح الديني الذي شهدته كل ربوع الامبراطورية الرومانية؟

– ما الدوافع التي أدت الى الصراع الديني في المنطقة ؟ وما نتائجه ؟

وللإلمام بالموضوع اتبعنا خطة بحث متكونة من خمسة فصول تناولنا فيها التعريف بالمنطقة وأهم الديانات السابقة والنشاط السياسي والاجتماعي والاقتصادي و بشكل عام.

في **الفصل الأول تطرقنا الى ظهور المسيحية في بلاد المغرب القديم** ذكرنا العوامل التي ساعدت في الانتشار المسيحية ، ثم تناولنا منافذ انتشارها وكيف وصلت المسيحية إلى عموم بلاد المغرب القديم

و في الفصل الثاني تكلمنا عن موقف السلطة الزمنية من حركة التنصير ذكرنا من خلاله الاضطهادات التي مارسها الأباطرة الروم على القديسين ثم ذهبنا مراحل الاضطهاد وقسمناها الى ثلاث أقسام المرحلة الأولى بداية الاضطهاد ثم المرحلة الثانية فترة الاضطهادات العنيفة ثم المرحلة الأخيرة نهاية الاضطهاد.

[1] محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين و علاقتها بالدوناتية 305م –429م، جامعة محمد الخامس، الدار البيضاء، ط 1، 2001 ص 218.

و في الفصل الثالث تكلمنا عن نشأة الكنيسة الافريقية و تطرقنا فيه التقسيمات الإدارية الرومانية على بلاد المغرب القديم و ظهور الإنشقاق و الصراع المحتدم بين الكنسية الكاثولكية والدوناتية وذكرنا أسباب هذا الانشقاق.

أما في الفصل الرابع تناولنا موضوع الدوناتية تاريخها وظهورها وعوامل انتشارها (الإطار الجغرافي) ثم موقف السلطة الزمنية من الصراع الكاثوليكي/ الدوناتي تطرقنا فيه الى موقف الدوناتيين من الكاثوليك وموقف الكاثوليكيين من الدوناتيين، ثم موقف القديس أوغسطين من الحركة (أنموذجا)

بينما في **الفصل الخامس تطرقنا الى علاقة الدوناتية بثورات القرن الرابع الميلادي** تحدثنا فيه عن نبذة ثورات القرن الثالث الميلادي ثم أحداث بغاي ودورها في إذكاء الصراع الديني 347م ثم ثورة الدوارين التعريف بهم و ذكر أسباب ودوافع ثورة الدوارين الريفية والعلاقة مع حركة الدوناتية.

ثم أشارنا الى الاطار الجغرافي لحركة الدوارين في بلاد المغرب القديم ثم ذكرنا العلاقة بين الحركة الدوناتية وثورتي فيرموس وجيلدون، ثم تطرقنا الى مجمع قرطاج 411م ومصير الدوناتية.

وأخيرا ذكرنا الكنائس الدوناتية في موريطانيا القيصرية (ألاميليا ريا أنموذجـا) عرفنا بالموقع الجغرافي لها وأصل التسمية وتاريخ التأسيس مدينة بنيان والوصف العام لها، وتناولنا ثورة القديسة روما.

أما المنهج المتبع ونظرا لطبيعة الموضوع تطَلَّب منا الاعتماد على المنهج السردي الوصفي الّذي ذكرنا من خلاله وقائع تاريخية.

كما اعتمدنا على عدة ملاحق رأيناها ضرورية لتوضيح أماكن و مقاطعات منها و كنائس منتشرة عبر المغرب القديم أما بالنسبة للمصادر الأول لـ " يوسابيوس القيصري" الذي استفدنا من تاريخه الكنسي في مراحل المسيحية الأولى وكيفية انتقال المسيحية خارج فلسطين وانتشارها عبر العالم و الاضطهادات الرومانية، استفدنا كذلك من كتابات القديس "ترتليانوس"الّذي تحدث عن أوضاع المسحيين في القرن الثالث للميلاد في المغرب القديم. أمّا القديس "أوغسطين" الذي كان مدافعا عن الكنيسة الكاثوليكية ومناظراته مع خصومه الدوناتيين من خلال رسائله.

كما اعتمدنا على بعض المراجع هامة ومنها الّتي قدمت دراسات حديثة كنا قد استفدنا منها كثيرا في موضوعنا وأمدتنا بالكثير من المادة العلمية الغزيرة الكتاب الأول المسيحية والترومن في شمال إفريقيا القديم من عهد ديوكليتيانوس إلى الغزو الوندالي (284م/429م) للسيد مُحَمَّد مبكر وكتابه الثاني شمال افريقيا القديم (حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية)-305م/429م .

وكذا مراجع شارل أندي جوليان ومُحَمَّد البشير شنيتي و غيرهم الّذين أمدونا بكم هائل من المادة العلمية.

إضافة الى ذلك، الدراسات السابقة لهذا الموضوع من أطروحات ومذكرات ساعدتنا كثيرا في منهجية وكيفية معالجة المواضيع من بين هذه المذكرات أطروحة الدكتورة المعنونة 'الديانة المسيحية في المغرب القديم -النشأة والتطور (180م/430م)' لعمران عبد الحميد، كذلك أطروحة 'المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في احداث القرن الرابع والخامس للميلاديين' لربيع العولمي، كذلك أطروحة 'الصراع الديني في بلاد المغرب القديم "الحركة الدوناتية و الكنيسة الإفريقيا"' لبن عطيا عبد الرحمان.

ولا نستثني المواقع الإلكترونية التي وجدنا فيها ضالتنا و منها البوابة الوطنية للمجلات و المقالات (asjp)(pnst).

وككل بحث علمي تجد نفسك أمام حتمية إما لقلة المصادر أو الاستعانة بها أو المترجمة إلى العربية أو تجد بعض الصعوبات في تحميلها من المواقع الإلكترونية بالرغم من الإمتنان لهذه المواقع وإما للبيع يستحيل شراؤها ومن الصعوبات كذلك تجد نفسك أمام كم من معلومات لكن تجدها تصب في قالب واحد وفكرة واحدة وهي الأحادية وعدم الموضوعية في حل الإشكالية أو الصراع، كالصراع الكاثوليكي الدوناتي و أغلبها وإن كانت كلها تنحاز الى الطرف الكاثوليكي لتجد نفسك أمام إشكالية عصيبة لا تستطيع حلها ،ولا تستطيع إعطاء للموضوع حقه .

الفصل الأول

ظهور المسيحية في بلاد المغرب القديم

الفصل الأول: ظهور المسيحية في بلاد المغرب القديم

تزايد الاهتمام بالآثار الرومانية والمسيحية و ذلك لتبرير الاحتلال للمنطقة على اعتبارهم الورثة الشرعيين للرومان فانصب الاهتمام على بقايا المسيحية[1] من نقائش وقبور وبقايا فسيفساء، كمصادر أثرية وأدبية بينت الاهتمام بِرَوْمَنَة وتنصير سكان المنطقة، و بعد إستنتاجات أبحاث الأب "ميناج" أن المسيحية وصلت إلى شمال إفريقيا منذ زمن الرسل Apostoli و انتشرت و بارتباط تام بالتوسع الروماني.

و لإبراز الإشكالية لا بد لنا من الولوج إليها أولا بحيث إما أن المسيحية و الرومنة كانتا سطحيتين ولما تفككت نهاية القرن الثالث للميلاد انسلخ سكان المنطقة ورجعوا إلى تقاليدهم و هويتهم.

و إما أدت العوامل الخارجية (الغزو الوندالي و الفتح الإسلامي) إلى فشل المسيحية والرومنة.

و في آخر المطاف توجه الانتقاد أولا على أن المسيحية والرومنة فشلا و يمكن أن تفسره تناقضات السلطة الرومانية وتناحر المذاهب المسيحية وخاصة الصراع الكاتوليكي والدوناتية خلال القرن الرابع للميلاد و أخيرا الغزو الوندالي وضعف الحكم البيزنطي [2].

1- بذور المسيحية في المغرب القديم :

يرجع انتشار المسيحية في شمال إفريقيا الى القرن الثاني للميلاد وانطلاقا من مقولة ترتيليان المشهورة "نحن لم نخلق إلا البارحة ومع ذلك أصبحنا نملأ كل مكان" خطاب أُلْقِيَ سنة 197

[1] مُحَمَّد المبكر، المسيحية والترومن في شمال افريقيا من عهد ديوكليتيانوس الى الغزو الوندالي، الطبعة الأولى، فيديرانت، الرباط 2004، ص 96.

[2] المرجع نفسه، ص ص،98،97 99.

للميلاد مما يؤكد أن المسيحية تقوَّت و اشتدت في النصف الثاني للميلاد[1] حيث تمركزت آنذاك في إفريقيا البروقنصلية وحسب الترتليان الّذي عاش في نهاية القرن الثاني للميلاد وبداية القرن الثالث للميلاد، فإن العديد من المسيحين ينتمون لكل الطبقات ويمارسون مهن شتى حيث عقد مجمع ضمَّ 71 أسقفا في قرطاجة حوالي 220 م وعقد مجمع آخر في حوالي 240 م ما يبين أنه كانت عدة تجمعات مبعثرة بين عدة أماكن من بلاد المغرب القديم ما اعتبرته الإمبراطورية خطرا عظيما[2]. و من الواضح أن المسيحيين كانوا يرفضون الهيمنة الرومانية ويرفضون بصفة خاصة عبادة الامبراطور، ويتبنون موقف الحركة المعارضة [3].

وعلى هذا فرضت روما عقوبات على المسيحيين في سيكيلي (scilli) بأمر من البروقنصل حاكم ولاية إفريقيا ساتورنينوس و سقوط شهداء منها القديستين باربيتيا و فيليسيتاس perpetua و felicitas * سميت فيما بعد الكنائس والمزارات تخليدا لهما سنة 203 م[4] و كان هذا البروقنصل أول من شهر السيف في وجه المسيحيين و يتوالى الاضطهاد خلال آواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث للميلاد على عهد الأباطرة سبتيميوس سويروس مع فترات هدنة و فترات تشتد على حسب البروقنصل[5].

---

[1] شافية شارن، بلقاسم رحماني، مُحَّد الحبيب البشاري، الاحتلال الاستطاني وسياسة الرومنة، المركز الوطني للدراسات والأبحاث، الجزائر 2007، ص 277.

[2] Gibbon edward.histoire du declin et de chute de l'empire romain .rome de 96à582.par MF GUIZOT .ed robert laffont.paris1983.p-p327-373

[3] مُحَّد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص-ص 160-161.

[4] مُحَّد مبكر، المرجع السابق، ص 115.

* القديستين perpetua و felicitas ذكرت في كتاب آلام الشهيدتين من مدينة ثوبورو الصغرى، سيقتا الى قرطاج مع رفاق آخرين حيث حاكمهم "هيلاريانوس" نائب بروالقنصل ورمى بهم الى الحيونات في المدرج، المرجع لمحمد المبكر، ص 117.

[5] مُحَّد المبكر، المرجع السابق، ص 116.

وقد خلف الاضطهاد شهداء مداوروس في نوميديا (مداوروش بتونس) شهيدتين من حضر موت سوسا حاليا.

أما بخصوص الطريق الّذي انتشرت من خلاله المسيحية في المغرب القديم يذكر دخولها عن طريق مصر والمشرق أما مسناج يذكر أنه كان عبر اتجاهين الأول من المشرق والثاني من روما و يعتبر الأول استخدامه والرائد والأسبق زمنيا هو الاتجاه الأول وتعتبر سوسا وشرشال وقرطاجة المراكز الأولى للتبشير المسيحي في مغرب القديم، و قد ساهم البحارة والتجار الشرقيون الذين قدموا من الساحل الفينيقي والإسكندرية في نشر تعاليم هذا الدين بين السكان المدن الساحلية للمغرب القديم كخطوة أولى تبعتها المرحلة التبشيريه في المدن الداخلية بالمنطقة[1].

و يبدو أن اليهود الّذين حاولوا نشر الدين الجديد من خلال هياكلهم المنتشرة عبر المدن المغرب القديم بين بني جلدتهم أتباع المعتقدات الوثنية سرعان ما اضطهدوا معتنقي المسيحية لتكاثر عددهم وربما لتشكيل خطرا على المصالح اليهودية في المنطقة[2].

ومن جهة أخرى ونظرا للاضطهادات المتتالية نذكر مجمعين انعقد في هذه الفترة وهما:

- **المجمع الكنسي** الذي انعقد برئاسة أكربينوس AGRIPPINUS أسقف قرطاج الذي يعتبر أول مجمع عالج فيه الاضطهاد والمشاكل تتعلق بالإجراءات التي تتخذها الكنيسة في حق المرتدين والمنشقين وبحضور عدد كبير من الأساقفة البروقنصلية ونوميديا وصل إلى سبعين أسقفا ما بين 187/186 و 225 للميلاد[3].

[1] محمد البشير شنيتي، التغيرات الإقتصادية... المرجع السابق، ص 266.

[2] شافيا شارن وآخرون، المرجع السابق، ص 232.

[3] محمد المبكر، المرجع السابق، ص 120.

– **أما المجمع الثاني** انعقد حوالي سنة 240م بقرطاج تحت رئاسة دوتانوس سلف القديس قبريانوس وبحضور تسعين أسقفا[1].

أيًا كان الأمر فإن المجامع المنعقدة من 187م الى 256م بدى انتشار المسيحية تباطؤ بسبب الاضطهادات الممارسة ضدهم من قبل الإمبراطورية الرومنية والوثنية من جهة أخرى حيث كان مسيحيو إفريقيا ضحايا لهذا العنف[2].

أما خلال القرن الرابع للميلاد أصبح نصف سكان مسيحيون و ارتفع عدد الأسقفيات من مائتين وخمسون سنة 300م الى ستمائة وخمسون بداية القرن الربع للميلاد إلى المرسوم الّذي أصدره الإمبراطور قسطنطين سنة 313 م الذي وضع حد للاضطهدات في كامل الإمبراطورية وحتى شمال إفريقيا و لم يعد إنعقاد المجامع بسرية كما في السابق بل منحهم المرسوم مجامع بحرية[3].

و خلاصة القول أن إنتشار المسيحية والإستعمار الروماني بينهما تطابق وهو عبارة عن ملء الفراغات وقد وصل إلى أقصى الجنوب منذ أواسط القرن الثالث للميلاد على عهد آل سويروس ولم تتعد حدود الإمبراطورية الرومانية وحتى الآثار المسيحية المؤرخة بهذه الفترة بدت شبه منعدمة خارج مجال خط الليمس هذا ما صح القول الأب ميناج "خارج الحدود الرومانية لا يوجد شيء إطلاقا يذكرنا بالاستعمار الروماني أو التنصير لذا يمكن أن نؤكد مايلي :لقد وصلت المسيحية بإفريقيا في سنة 430 م إلى حدود الإمبراطورية نفسها ولم تتعدها في مكان ...."[4].

---

[1] بن عطيا الله عبد الرحمان، صراع الديني في المغرب القديم (الحركة الدوناتية والكنيسة الافريقيا)، أطروحة لنيل شهادة الدكتورة، تحت اشراف أ.د.حموم توفيق، جامعة أبو القاسم سعد الله (الجزائر 2)، ص 24.

[2] بن عطيا الله عبد الرحمان، المرجع نفسه، ص 25.

[3] بن عطيا الله عبد الرحمان، المرجع نفسه، ص 25.

[4] مُحَمَّد المبكر، المرجع السابق، ص 187.

وأكثر من هذا شهادات أغسطين في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس تنفي أن تكون المسيحية قد انتشرت بصورة واسعة خارج الحدود الرومانية[1].

2- عوامل انتشار المسيحية:

أ- عامل سياسي:

التغيرات الّتي برزت في 44 ق.م الانتقال من النظام الجمهوري إلى نظام الإمبراطورية اعتلاء العرش الديكتاتور يوليوس قيصر العرش روما ومستعمراتها المعروف بنظامه النفوذ العسكري والتناسق بين النظام الجمهورية و الملكية من حيث المؤسسات وإشراك الشعب بمجالس منتخبة إلا أن أساس السلطة كان نابعا من قوة الجيش.

و بانتقال هذا الأمر إلى كامل مستعمرات ،ونخص الذكر المغرب القديم الّذي أصبح خاضعا فقد أحدث القيصر يوليوس عدة مقاطعة جديدة سميت "إفريقيا الجديدة" Africa nova وتضم نوميديا وإفريقيا القديمة "Africa vetus" وتبعتها موريطانيا القيصرية بعد وفاة ملكها بطليموس 40 م وهكذا بعد مرور قرنين من الزمن على إنشاء أول مقاطعة في إفريقيا أصبح كامل المغرب القديم تابع للإمبراطورية الرومانية[2].

ب- عامل اقتصادي :

بصفة عامة الظروف الاقتصادية كانت متدهورة حين انتشرت المسيحية حيث سيطر الملاك الكبار من الطبقة الحاكمة وأعضاء من مجلس الشيوخ وطبقة الفرسان على ضيعاتٍ وأخرى ثروات طبيعية من الغابات والمناجم ومصايد الأسماك و استيلاء على البنوك الفلاحة والصناعة والتجارة وأعطوا لأنفسهم حق جمع الضرائب أدى إلى معاناة طبقات وتذمر سكان من هذا العمل ودخول في أزمة

[1] مُحَمَّد المبكر، المرجع السابق، ص 187.

[2] بن عطيا الله عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 40.

اقتصادية وهو الوضع الّذي أرغم الإمبراطورية الرومانية إلى تلهية الأهالي بتوجيه الى المسرح و حلبات المصارعة هذا في روما أما في منطقة المغرب القديم لا يقل عن سابقتها من الاستغلال الاقتصادي الروماني و سيطرتها على الأراضي الخصبة و حتى إلى المراعي تحولت إلى أراضي زراعية وأصبح ملاكها أجراء.

أما في عهد الأباطرة القيصر وأغسطس و تبريوس تأكدت نوايا في المزيد من السيطرة على الأراضي الزراعية في نوميديا وطرابلس لخلق ثروة كبيرة وتحويلها إلى روما عبر الموانىء.

و هكذا نجد أن الفترة التي سبقت ظهور المسيحية في المغرب القديم كانت المنطقة تعاني من الظلم الاقتصادي نتيجة للتوسع الروماني و انتزاع الأراضي من أصحابها وتحويلها الى الشعب الروماني وحتى طرد سكانها الى مناطق قاحلة أو أجراء فيها، ما سبب تذمرهم وقابليتهم لأي حركة تتحالف معها تخلصهم من الظلم وقد وجدوا في مبادئ الديانة المسيحية ملاذا وخلاصا لهم[1].

ج- العامل الاجتماعي:

ظهرت المسيحية بعد الحروب الأهلية الّتي كانت لها انعكاس اجتماعي على روما ومقاطعاتها فقد خلفت آثار مدية ونفسية على طبقة واسعة وخاصة الأغنياء فكثير من ممتلكاتهم سلبت وبيعت لتمويل الحرب[2].

و حتى الولايات الإفريقية لم تسلم من المعاناة برغم من بعد المسافة إلا أن هجرة الرومانيين جراء الحروب الأهلية والاستيلاء على الأراضي عنوة وجعل الافارقة عبيد مما سبب تذمر لدى سكان شمال افريقيا والتمييز الاجتماعي الذي كان شائعا لدى الإمبراطورية باعتمادها على معيار المادي ومقدار الثروة. و في سنوات الأولى لانتشار المسيحية في المنطقة دخول بقوة من الطبقة العامة و من

[1] بن عطيا الله عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 41.

[2] المرجع نفسه، ص 42.

العبيد لظلم والمعاناة ليجدوا مبادئ العدالة والمساواة واستمر هذا الأمر الى غاية نهاية القرن الأول للميلاد[1].

د- العامل الديني:

عرف المغرب القديم قبل ظهور المسيحية الديانة الوثنية كما سبق الذكر منها عبادة الإمبراطور وتقديسهم وأن الإمبراطور يحكم برعاية الآلهة في روما ومقاطعاتها التابعة له وكما فرضت الاحتفالات سنوية تقام في المعابد الإمبراطورية لذكرى وفاة الاباطرة وتقدم لهم التضحيات، الأمر الّذي كان مسلم به وقد حارب القديسين الآوائل للديانة المسيحية لهذه العبادة ففي حوار دار مع البروقنصل باترنوس لمدينة قرطاج مع القديس كبريانوس حيث اتهمه بعدم اتباع ديانة الرومانية فرد عليه القديس أنه لا يعرف إله غير الله الّذي خلق السماء والأرض والماء[2].

كل هذه الظروف من سياسية واقتصادية واجتماعية تشير إلى انتقال أهالي منطقة المغرب القديم من الوثنية (عبادة الامبراطور) الى المسيحية وشعورهم بالظلم كما يذكر مسناج أن دخولهم للدين الجديد لم يكن من البؤساء إنما شمل شرائح كبيرة من المجتمع من الأغنياء والنبلاء والحرفيين والمزارعين لاسيما الصغار منهم وكذا عبيد المدن و الأرياف كما يذكر قد تراوح عدد معتنقي هذا الدين ما بين القرن الثاني وبداية القرن الثالث للميلاد بين 350 ألف مسيحي منتشرون على المقاطعات

20000 الى 230000 بالبروقنصلية

80000 الى 100000 بنوميديا

15000 الى 20000 بموريطانيا

[1] بن عطيا الله عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 43.

[2] بن عطيا الله عبد الرحمان، المرجع نفسه، ص 44.

و يعود السبب على التفاوت البائن بين المقاطعات الثلاثة يعلق عليها مسناج أن السبب ارتفاع عددهم في البروقنصلية يعود الى الاستقرار السياسي الّتي تميزت بها مقارنة بنوميديا وموريطانيا اللتين عرفتا اضطرابات وثورات ضد الاحتلال الروماني وأصبحت المسيحية وسيلة والخلاص وأداة نضال ضد عبادة الإمبراطور والاحتلال الروماني وكذلك إلى الدور الّتي لعبته المسيحية في رعاية اليتامى وإسعاف المرضى والمحتاجين وإعالة عائلات من زج بهم في السجون السلطات الرومانية بسبب اعتناق الدين الجديد والتي ساهمت في إرساء النظام الكنسي[1].

هكذا تبرز لنا مواصفات عوامل انتشار المسيحية في المغرب القديم والتي كان ضحيتها الطبقة الدنيا من جهة والفراغ الروحي الذي حاولت الإمبراطورية الرومانية ملأه بعبادة الامبراطور من جهة ثانيا، ثم ما تضمنته الديانة الجديدة من مواساة الاشقياء والمحرومين والتضامن مع الضحايا والعدل وهي التي ترجمها دعاة المسيحية من خلال سلوكهم وعلاقاتهم ما وجد أثرا في نفوس الأهالي والاستجابة لها طواعيةً[2].

3- طرق انتقال المسيحية:

أ- عبر الشرق

ذهب جل المؤرخين أن البذور الأولى أتت من الشرق ذلك لقربه الجغرافي و التواصل الدائم بين المنطقتين من بين المؤرخين بول مونصو مستندا إلى القرطاج و حضارتها القديمة وقد وفدت إليها المسيحية عبر الشرق وعبر روما ومن بلاد الاغريق مستندا إلى القديس ترتليانوس كان على دراية كبيرة بالأدب الاغريقي ما فسره بأنّ المسيحية دخلت من هذه المنافذ[3].

---

[1] شافيا شارن وآخرون، المرجع السابق، ص 233.

[2] مُحَمَّد بشير شنيتي، التغيرات الإقتصادية... المرجع السابق، ص 272.

[3] عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية في المغرب القديم – النشأة والتطور 180م 430م، مذكرة دكتورة تحت اشراف مُحَمَّد الصغير غانم، جامعة منتوري قسنطينة، 2010/2011، ص 76.

و ذكر كذلك رواية القديس اغسطين في انتشار المسيحية من الشرق و أن أصل الكنائس الإفريقية المتعددة و أن قرطاجة أخذت المسيحية من الشرق.

لقد كان المغرب القديم مفتوحة على العالم القديم وتعاقب الحضارات لجغرافيته مما سهل عملية التنقل والتواصل ,كما كان مسيحيو فلسطين متحمسين في نشر هذا الدّين الجديد مع وجود إشارات في الكتاب المقدس بأن عدد كبير من الليبيين اعتنقوا المسيحية وكانوا بالآلاف في تلك الأيام[1].

و يضيف بول مونصو ان بعض المبشيرين الّذين أتو من آسيا باشرو دعوتهم من اليهود القرطاجيين وبعض المدن الساحلية وقد شكلت أولى الكنائس و الّتي احتضنته و بمساعدة اليهود و توفير لهم الجو المناسب لنشر دعوتهم[2].

و منهم من ذهب إلى أن المسيحية انتشرت بين صفوف الطبقات الاجتماعية السفلى الّتي لم تجد نفسها في الوثنية و يذكر أن التنصر كان في المدن الكبرى بصفة أكبر[3] و أضاف مونصو أن المسيحية وصلت من الشرق عبر بعثات تبشيرية رومانية معتمدا في ذلك بالقديس اغسطين.

ب- التجارة:

عند ذكر قرطاجة تذكر مباشرة التجارة الّتي كانت تشتهر به عبر التاريخ من الشرق نحو المغرب القديم ومركزا هاما ولها علاقات تجارية منذ القديم مع الشرق قبل قورينة والإسكندرية وصور

[1] صفاء جنحاني و فارس حمايتي، مذكرة ماستر تحت اشراف راشدي جراية، جامعة حمة لخظر –الوادي، 2018/2017، ص 64.

[2] العود مُحَّد الصالح، التحولات الحضارية في شمال افريقيافي الفترة الوندالية، مذكرة مقدمة لنيل شيادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009/2010م، ص 22.

[3] عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 76.

وصيدا بعد الاحتلال الروماني أصبحت هي المغذي الرئيس لروما، وقد كان لهذه المعاملات التجارية وبين قرطاجة والقادمين من مختلف المناطق دور في نشر هذا الدين[1].

كما أن مدينة قورينايا أصبحت معروفة بنشاطها التجاري الّذي ازدهر بمرور الوقت وأصبحت المنطقة العديد من التجار كاليهود و الفنيقيين أين أصبح لهم احتكاك بالسكان المحليين و بعض السكان الّذين قدموا إلى قورينايا من أجل التجارة، هذه الحركات التجارية كان لها دور كبير في نشر المسيحية في المغرب القديم[2].

ت- الرسل:

من بين أهم العوامل الّتي انتشرت بها المسيحية هي الرسل المبشرين منهم نذكر مرقس* وقد انتقل الى شمال افريقيا في نصف الأول من القرن الأول للميلاد حوالي 40 م وهناك بقي متنقلا بين مصر و برقة إلى غاية وفاته 63 م حيث نشر دعوته و بنى العديد من الكنائس و يعتبر أول من بنى كنيسة في منطقة برقة الليبية[3].

ث- روما :

بعد وصول المسيحية إلى روما في عهد الإمبراطور كلوديوس الّذي رفض هذا الدِّين، و مارس أشد أنواع الاضطهادات ضد كل المسيحيين وقد زاد في عهد نيرون الّذي أحرق المدينة واتهمهم لكي يكرههم الناس وقابلهم بأشد أنواع التعذيب والتنكيل ورمي إلى الحيوانات المفترسة، ثم عهد

[1] ربين دنيال، أصول التراث المسيحي في شمال افريقيا، دراسة تاريخية من القرن الأول الى القرون الوسطى، تر: سمير مالك، دار المنهل حياة، لبنان 1999، ص 47.

[2] مُحَمَّد صالح عود، المرجع السابق، ص 22.

*مرقس هو احد الحواريين الذين تتلمذوا على يد سيدنا عيسى عليه السلام صاحب الانجيل مرقس (مُحَمَّد أبو زهرة ص 40)

[3] عبد الحميد عمراني، المرجع السابق، ص 65.

الإمبراطور ترجان قلَّ فيه الاضطهاد مما سهل في انتشار المسيحية في روما وخارجها من المناطق الخاضعة لها كقرطاجة و من ثم طرابلس و نوميديا و مورطانيا[1].

[1] صفاء جنحاني و فارس حمايتي، الديانة المسيحية في المغرب القديم الصراع المذهبي، مذكرة تخرج ماستر، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر 2018/2017، ص 66.

الفصل الثاني

مناطق انتشار المسيحية في المغرب القديم

1- مقاطعة البروقنصلية Africa proconsularis:

لا يكاد يعرف تاريخ المسيحية في بلاد المغرب القديم إلّا بنهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني للميلاد، حيث وجدت أولى القبور المسيحية اليهودية في مقبرة جامارت Gamart إلى لشمال الغربي من قرطاج والّتي حفظت أولى القبور المسيحية، وحملت نقوشا تدل على ديانة أصحابها. ولكن النصوص المكتوبة للتأريخ للمسيحية تعود إلى سنة 180م إثر شهداء قرية سكيلي scilli [1] و قد عانت المسيحية هي الأخرى في تلك المنطقة، لأن السلطة الرومانية كانت تعتبرها ديانة يهودية وخارجة عن ديانة الإمبراطور[2] وظهرت جليا بين بعض السكان خاصة أن الليبيين كانت لهم ديانات منها محلية ووافدة سواءا من مصر أو الفنيقيين التي ساهمت في ثراء الديني للمنطقة ولم تجد صعوبات في تغلغل لما تحمله من معاني العدل المساواة[3] و خاصة الطبقة المثقفة بثقافة إغريقية لاتينية التي شكلت النواة الأولى للمسيحية في المدن الكبرى ثم إلى المدن الصغرى بعد لرومنة وتنصر السلطة درجة الثقافة التي كان يحظى بها أولئك الشهداء الأوائل الّذين كانت لهم قدرة كبيرة على المجادلة والدفاع عن أنفسهم أو عن إخوانهم المسيحيين ويظهر ذلك من خلال جماعة "سكيلي"، وردهم أثناء محاكمتهم من طرف البروقنصل "فيجيليوس ساتيرنينوس Vigellius" Soturninus و الذي طالبهم بالاعتراف بديانة الإمبراطور الرسمية، فكان الرد:- "أننا لا نعترف بإمبراطور هذا العالم ونخضع الله وحده، ليصيح الجميع بعد الحكم عليهم بالإعدام"الحمد الله" ونجد ذلك بنفس الثقة والمقدرة على محاولة الإقناع، و التشبث بالرأي عند شهداء سنة 203م يظهر بأن النصرانية انتشرت في بلاد المغرب القديم ووصولها إلى قرطاج وإن بينت الوثائق قدم الكنيسة الإفريقية قبل قرطاج، إذ وجدت نقوش تدل على قبور مسيحية ترجع حوالي سنة 150م، بكنيسة تبعد عن قرطاج بـ 150كلم، إلى الجنوب في حذر موت و مع أواخر القرن الثاني للميلاد أنشئت أول كنيسة

[1] عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم النشأة والتطور 180-430م، أطروحة الدكتورة جامعة منتوري قسنطينة تحت اشراف مُحَّد صغير غانم، سنة 2011/2010، ص 140.

[2] مُحَّد مصطفى بازامة، " المسيحية في ليبيا"، مقالات جامعة بنغازي، ليبيا، ص30.

[3] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 140.

أسقفية للمسيحية "لبتس مانيا"، وكانت أول مدينة طرابلسية تنشأ بها كنيسة[1] مما يبين أن المسيحية قد تسربت من الشرق عن طريق برقة، كما أوضحنا سابقا، وباعتبار قرطاج هي أول مركز للآداب اللاتينية، فإن الدعاية لهذا الدين بدأت تظهر مع نهاية القرن الثاني للميلاد.

في حين نجد بأن النقوش الإهدائية للمسيحيين لم تظهر فيما يبدو مما هو مكتشف لحد الآن على الأقل إلا مع شهداء 180م، حيث أظهرت نقوش شهداء في كل من قرطاج وبرقة، مع بقايا أثرية للمعابد الكنسية، وكانت مشوهة كثيرا من ثلاث وثلاثين قطعة لصفيحة رخامية، وهي أول نقيشة فيما هو مكتشف تذكر أسماء هؤلاء الشهداء الذين جهروا بأسمائهم[2]، إلا أنه ومع بداية القرن الثاني للميلاد كانت المسيحية قد انتشرت في أجزاء عديدة في كل من البروقنصلية ونوميديا[3]، و يتجلى ذلك من خلال عقد مجمع كنسي عام 214م في قرطاج بقيادة أسقفها "اغريبينوس Agrippinus" و الّذي ضمّ أساقفة من البروقنضلية و نوميديا لمناقشة إعادة تعميد الهراطقة الّذين عادوا إلى الكنيسة، وبحث الموقف موحد اتجاههم. و في 217م عقد مجمع بقيادة نفس الأسقف وحضره 70 أسقفا رغم الاضطهاد من طرف السلطة الرومانية، و بعد خميس أوستين سنة بعد هذين المجمعين تزايد عدد الأسقفيات الى 90 و 120 اسقفا[4].

و شكل الاستشهاد قوة الجماعة المسيحية، وازداد الإيمان المسيحي بعدها في الوقت الذي كان فيه التعذيب يزداد قسوة تاركا آلاما مبرحة في نفوس المؤمنين المسيحيين خاصة[5]، و هذا الاضطهاد أدى إلى ازدياد تنصر الفئات الناقمة على السلطة؛ كما أن الكنيسة استخدمت الدعاية لاستعطاف السكان والتضامن معهم ما عبر عنها القديس "ترتليانوس" في وصفه لحالة التضامن

[1] محمّد مصطفى بازامة، المسيحية في ليبيا، ص 32.

[2] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 142.

[3] جوليان شارل أندري، المرجع السابق، ص 255.

[4] –Mesnage (J.), le Christianisme, L'Afrique chrétienne, éveilles et ruines antiques, Ernest Leroux, Paris 1912, p.103

[5] عمران عبد الحميد ,المرجع السابق , ص 142

المسيحي:-"إننا متحدون فكريا وروحيا، و لا نتردد في اقتسام أموالنا مع الآخرين، إن كل شيء مشترك فيما بيننا ما عدا أزواجنا". و في 248م انتخب القديس "قبريانوس" من طرف أساقفة قرطاج، أخذت الكنيسة الإفريقية تنتشر جغرافيا وخاصة على طول السواحل ثم توغلت تدريجيا نحو الداخل.

كانت فترة السلم التي سبقت اضطهادات الإمبراطور "دقلديانوس" مع نهاية القرن الثالث و بداية الرابع للميلاد ، قد ساهمت في انتشار المسيحي في بلاد المغرب القديم، وخصوصا في المناطق الكبرى البروقنصلية و في نوميديا.

و تبين لنا قرارات مجمع أول سبتمبر 256م بقرطاج درجة الانتشار المسيحي في إفريقيا خلال تلك الفترة و حضر هذا المجمع 87 أسقفا من البروقنصلية و نوميديا و موريطانيا[1].

انتشرت أكثر في البروقنصلية التي مثلها تسعة وخمسين أسقفا، وارتفاع عدد الكنائس الأساسية الّتي تمركزت على الساحل، وإحاطتها بمدينة قرطاج و انتشارها عبر الطرق، خاصة المواقع التي تشكل محطات للطرق العسكرية[2]. و ظلت قرطاج مركزا للإشعاع المسيحي و ذا العاصمة الروحية بالنسبة لمسيحيي شمال إفريقيا خلال فترة الاحتلال الروماني و كلما ابتعدنا عن قرطاج قلت الكنائس و عليه فإن انتشار المسيحية يقل من الشرق إلى الغرب، و من الشمال إلى الجنوب كما أن التنصير كان يتم في محيط قرطاج عبر الساحل أو عبر حوض مجردة وعلى طول الطريق العسكري.

و بينت وثائق الشهداء تواجد أسقفيات ومستوطنات مسيحية في العديد من مناطق البروقنصلية مع بداية القرن الرابع للميلاد قبل أسقفية "أبتوجني Abthugnis" و "زاما " Zama ثيبيوكا "Uzali و "أوزالي " Furnas majus و "فورنوس ماجوس Thibiuca.

[1] عمران عبد الحميد، المرجع نفسه، ص ص 143-144.

[2] Monceaux, (P.), Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, Ernest Leroux, T 2, Paris 1923, pp.8-10

و "كيفات Cephati" و "كارتيريا Carteria" و "بول"[1] و في قرية "مالقا"Malaga حيث عثر على ألاف القطع من شواهد القبور المسيحية إذ تأسست مقبرة مسيحية مع بداية القرن الثالث للميلاد ضمت شهداء الاضطهاد[2]، وتعطينا الوثائق الكنسية أسماء لكنائس جديدة في البروقنصلية مع بداية القرن الرابع للميلاد مثل أسقفية ثيبيوكا Thibivca بهنشير زوينة، والّتي أعدم أسقفها فيلكس Felix في 56 من العمر سنة 303م و "أوزالي Uzali "بالقرب من"أوتيكا" و"كيفاليCephali" التي قدمت ثلاث شهيدات سنة 304م[3].

ومما لا شك فيه أن طريقة الانتشار المسيحي ستمتد حتى عهد الإمبراطور "قسطنطين"، وخاصة بعد قرار ميلان سنة 313م الّذي أعاد السلم للكنيسة وشكل نقطة بداية لبناء العديد من الكنائس و الأبرشيات ليس في البروقنصلية فحسب، ولكن في كل مقاطعات المغرب القديم،وتنامت تلك المؤسسات الدينية أيضا في خضم الصراع الكاثوليكي الدوناتي[4]. و في المجمع 348م و الذي عرف حضور أساقفة لأبرشيات جديدة في البروقنصلية وهي: "باسيانا Bassiana و "كريسيما Cresima " و "اجناتيا " Egnatia و "فرونتونيانا" Frontoniana و "أوكتافيا Octavia " و "بوبيانا " Puppiana و "سيفيريانا Ceveriana " " Trophimiana" تروفيميانا و فالنتينيانا Valentinia و فيبيانا Vibiana[5].

ارتفع عدد الأساقفة الممثلين في تلك المجامع حسب "ميناج" و المشاركين في مجمع قرطاج لسنة 411م 900 أسقفا منهم 470أسقفا كاثوليكيا و460 أسقفا دوناتيا ؛ ممثلين 429 أبرشية، تحتوي البروقنصلية منها على 128 أبرشية[6].

---

[1] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 145-146.

[2] Monceaux (P.) ,H.L.A.C, T,1, Opcit, pp.12-13

[3] Mesnage (J.) , L'Afrique Chrétienne, opcit, p.25

[4] عمران عبد الحميد ,المرجع السابق ,ص147.

[5] Mesnage (J.P.) , le Christianisme, opcit, pp.143-144

[6] Mensonge,Ibid, pp.167-168

و أن المناطق التي كانت بعيدة عن الاحتلال الروماني وتأثيراته بقيت على حالتها الدينية الوثنية، ولم تتأثر بالمسيحية في حين نجد بأن أعداد النصارى يرتفع كلما اقتربنا من مركز البروقنصلية، وخصوصا مع نهاية الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، مما يؤكد علاقة المسيحية بحركة الرومنة.

2- مقاطعة البصاسين byzacene

مقاطعة "البصاسين" أنشئت في عهد "دقلديانوس" وذلك في حوالي 297م، يحدها شمالا البروقنصلية وجنوبا الطرابلسية وغربا نوميديا، أما حدودها الكنسية فهي تتطابق تقريبا مع الحدود الإدارية ولم تذكر تلك المقاطعة الكنسية إلا في سنة 348م في إشارة إلى مجمع كنسي يكون قد عقد بتلك المقاطعة . ذكرت المصادر الأدبية أقدم شهداء تلك المقاطعة بمدينة "حذرموت " Hadrumetumسوسة الحالية- و هو القديس "مافيلوس Mavilus "و الذي استشهد في 11 ماي 212م، و ربما كان معه شهيد آخر وهو" ريتيليوس Rutilius " "[1] و أظهرت الوثاق الكنسية أن الكثير من المسيحيين قد قضوا خلال اضطهادات " دقلديانوس" في حذرموت ومنهم الأسقف "أنوكونتيوس " Innocuntius في 17ماي 303م ومجموعة شهداء في أول سبتمبر وشهداء آخرين حملت أسماءهم نقيشة " ثلبت"[2]، وتذكر الوثائق مدينة "كانيانا"الواقعة في مقاطعة البصاسين والتي شارك أسقفها في مجمع 393م ومجمع 411م شارك أساقفة مقاطعة الباصاسين في مجمع "آرل" 314م بطلب من الإمبراطور"قسطنطين" في رسالته إلى بروقنصل إفريقيا[3]، وشارك في مجمعي 393م و411م أساقفة من "أورو سليانةAuru Suliana "و"مارازانةMarazana"بإقليم البصاسين.في منطقة"سيفيسSufus "بالإقليم قام مجموعة من المسيحيين بسرقة تمثال "هرقل"مما جعلهم يدخلون في صراع مع الوثنيين وسقط منهم ستون فردا وذلك في 30أوت 399م[4]. إن الشبكة الطرقية الّتي أقيمت بوسط والتخوم الجنوبية لتلك المقاطعة والّتي تمر على المدن الرئيسية فيه إذ مرت من بحيرة "تريتون" باتجاه "جميلاوamellae"كابسا"quaeCapsa""أكوا "Silsavaو"سيلسافا " Thasarte

[1] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 149.

[2] Monceaux (P.),H .L.A.C. ,T.III, Opcit, p.5

[3] عمران عبد الحميد ,المرجع السابق , ص150.

[4] Monceaux (P.),H .L.A.C. ,T.III, Opcit, p.136

و"ثاسارت " Versviو"فيرسفي و"تلبت "، وكان لتلك المدن دور في الحراك المسيحي خاصة في القرن الرابع للميلاد هذا القرن الذي عرف نهضة حضرية بالجهات الشرقية للمغرب القديم وتزايدت معه حركة الرومنة[1]، و كانت البصاسين من أهم المناطق التي تنتشر بها زراعة الزيتون الّذي نتج عنها استقرار أدى إلى تزايد عدد الأبرشيات التي تراوحت ما بين 69 و 72 أبرشية مع بداية القرن الخامس.

3- مقاطعة الطرابلسية TRIPOLITAINE

مقاطعة "الطرابلسية" يحدها شمالا البحر المتوسط وجنوبا الصحراء وغربا مقاطعة البصاسين وشرقا مصر، أنشئت في عهد "دقلديانوس" في الفترة ما بين 285 -305م كمقاطعة إدارية. أما كنسيا فيظهر أنها كانت موجودة خلال سنة 314م أثناء انعقاد مجمع "آرل" ويظهر ذلك من خلال دعوة الإمبراطور "قسطنطين" إلى حاكم إفريقيا من أجل دعوة الأساقفة للمجمع إذ يذكر اسم الطرابلسية، تتكون "الطرابلسية" من ثلاث مدن رئيسة وهي" لبتيس ماقنا Leptis magna " و"أوياOe " طرابلس- و "صبراتة Sabrata" .

متى دخلت المسيحية إلى الطرابلسية، ويمكن أنها انتشرت أواخر القرن الأول أو أوائل القرن الثاني للميلاد، ويعتقد بأن "لبتيس ماقنا" كانت أول مدينة طرابلسية أنشئت بها كنيسة أسقفية، ما تعتبر الأفقر طبيعيا بالمقارن بالمقاطعات الأفريقية الأخرى مما يقلل من حركة المعمرين بها، وترك الأمر لعسكرة المنطقة خوفا من تمردات السكان أو العمل من أجل استقطابهم، ومن تلك التمردات ثورة سنة 364م و السنوات اللاحقة التي قامت بها قبائل "الأوستيريانس" الطرابلسية Austuriens و التي كانت تجاور"أويا" و"لبتيس ماقنا" وقامت بعمليات النهب والحرق، كما لا نعرف شيئا عن الاضطهادات التي يمكن أن مست تلك المقاطعة إلا أن القديس قبريانوس" يذكر في التقرير الذي أعده بعد مجمع 258م أساقفة كل من "صبراتة" و"أويا" و"لبتيس ماقنا[2]".

[1] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص 151 -152.

[2] مُحَمَّد مصطفى بازامه، "المسيحية في ليبيا"، ص ص 33-34.

كما تذكر اللوحات الكنسية أسماء أساقفة المدن الثلاث سنة 255م وهم:-"ديوغاDioga " من "لبتيس ماقنا" و"بومبيPompée"من صبراتة" و"بريميليان Primulien "من مدينة "أويا "وهذا يعني بأن المسيحية كانت موجودة في مدن الطرابلسية التي لم تنفصل بعد كنسيا عن البروقنصلية آنذاك، بل أن "مونصو" يذهب إلى أن أسقف "لبتيس ماقنا" قد عاصر القديس "ترتليانوس[1] ".

و يورد المؤرخ "بروكوبيوس "*بأن مدينتي "جالو" و "أوجلة" أنهما احتفظتا بعبادات الأقدمين إذ كانوا جميعا في ظلال الشرك حتى يومنا هذا". وأن الإمبراطور البيزنطي "جستينيان" لما وصل إلى المدينتين حول سكانهما إلى النصرانية، بأن بنى لهم كنيسة بعدما كانوا يقدمون القرابين لآلهتهم الوثنية مما يدل بأن الوثنية لازالت راسخة حتى ذلك الوقت في نفوس السكان الّذين لم يتخلوا عنها و ليستا هاتين المدينتين وحسب بقيتا وثنيتين بالطرابلسة فهناك أيضا مناطق أخرى يتكلم عنها "بروكوبيوس"، ومنها القبائل التي كانت تعيش بالقرب من لبدة الكبرى والّتي تسمى بـ"الغادابيتان " Gadabitani كانت حتى ذلك الوقت لا زالت وثنية حيث بنى لها الإمبراطور "جستنيان" كنيسة وقام ببناء سور لمدينة "صبراتة" وأقام فيها أيضا كنيسة ضخمة ,وهذا يعني أن المسيحية لم تتغلغل في تلك المناطق التي بقيت على وثنيتها نظرا لبعدها عن التأثيرات الرومانية المسيحية القوية، أحصت "تولوت" عدد أساقفة الطرابلسية بثمانية عشر أسقفا ما بين سنتي 255و411 و بلغ عدد الأبرشيات الطرابلسية المشاركة في مجمع قرطاج لسنة 411م ثماني أبرشيات[2] وبذلك فتلك المقاطعة هي أقل المقاطعات الأفريقية التي انتشرت فيها المسيحية واقلها مشاركة نظرا لقلة عدد السكان المستقرين من جهة وبقائهم على وثنياتهم وقلة عدد المعمرين الرومان كذا الحاميات العسكرية الرومانية مقارنة بباقي المناطق الأفريقية الأخرى .

[1] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 153.

*بروكوبيوس القيصري Procopius de Saesareas) (مؤرخ بيزنطي ولد في قيصرية فلسطين حوالي نهاية القرن الخامس للميلاد إشتغل بالمحاماة في القسطنطينية، رافق القائد "بيلاريوس" عام 527م إلى بلاد فارس وأفريقيا وايطاليا، كان حيا عام 599م، ترك مجموعة مؤلفات منها حرب الو ندال وعمائر جستينيان .للمزيد ينظر،علي فهمي خشيم ، نصوص ليبية، نشر تواليت ،ص13

[2] عمران عبد الحميد، المرجع نفسه، ص ص 154-155.

4- مقاطعة نوميديا Numidae

تعد نوميديا من أهم المقاطعات في إفريقيا الرومانية فهي من أكثرها زراعة وغنى وتحتوي على عديد المدن الكبرى المنتشرة من السهول العليا إلى شمال الأوراس، بل حتى المناطق الجبلية تتمركز بها مدن، وتكون تلك المقاطعة قد بدأت تتخلص تدريجيا من ترحال سكانها واستقرارهم أكثر نظرا لسياسة الرومنة. أقامت بها الرومان مدن ذات كثافة سكانية من هيبون شمالا إلى الاوراس جنوبا وسيطرت عليها إلا أن القبائل بالمناطق الجبلية لم تخضع لهذا الاستعمار الروماني مع وجود القبائل التي كانت خاضعة له في حين شكلت الفرق العسكرية المراكز متجهة إلى الجنوب الغربي نحو"كاستيلوم ديميديCastellium dimmidi "و"ثابيدوس" Thabudeos و"باديسBadias "جنوبا، مرورا بالمرتفعات الأوراسية، عبر طرق مستحدثة تسيطر على منابع الماء وحركة الطرق خاصة في المناطق الّتي تعرف اتصالا ما بين المناخ الرطب والمناخ الصحراوي، فيما بقيت القبائل في محافظة على عاداتها وتقاليدها، وتمارس نشاطاته في الفلاحة في منطقة غنية بالأشجار والزيتون والكروم ومنتجة للقمح وقطعان الماشية وللحفاظ على الاستقرار الروماني ومراقبة القبائل وحركتها ومراقبة الحدود الجنوبية من أي خطر محتمل من القبائل الرحل، أقامت السلطات ما يعرف بخطوط "الليمس " Limesالأول والثاني في القرنين الأول والثاني للميلاد[1] مع أن المناطق خارج خط الليمس حاولت السيطرة عليها عسكريا واجتماعيا واقتصاديا والتي كانت امتداد للمقاومة والثورات من أجل رومنتها[2]. بدأت في نشر اللّغة اللاتينية في صفوف الجيش والفرق المساعدة والمدارس والتجار والعبيد، والجماعات الفلاحية في المدن الكبرى مثل "سيرتا" وقرطاج و"مادورMadaure"وغيرها من المناطق ذات النشاط، وكان من نتيجة ذلك أن ازداد عدد المتكلمين بتلك اللّغة، بل ظهر مبدعون بلسانها

[1] عمران عبد الحميد، المرجع نفسه، ص ص 154- 155.

[2] مُحَمَّد البشير شنيتي، التغيرات الإقتصادية...، المرجع السابق، ص ص 3-4.

من أمثال الأديبين "فرونتون السيرتيFronton "و"أبوليوس المدوري " apulée وأصبحت نوميديا تعرف بالأرض الولودة للمحامين[1].

ويعتقد بأن اللغة اللاتينية ظلت حبيسة في تلك المناطق المتصلة أكثر بالرومان، في حين أن المناطق البعيدة لم تكن تتعامل بها لعدم الحاجة إليها. رغم أن الاحتلال الروماني ظل يلتهم الأراضي باستمرار ويخضعها لسيطرته، ولكي يضمن الأمن وأقام شبكة طرقية هامة، لفرض الأمن وزيادة الاستغلال الاقتصادي ولم تتخلف تلك المقاطعة عن اعتناق المسيحية، إذ ساهمت بشهدائها أثناء حكم الإمبراطور "كومودوس"، واضطهادات سنة180م. يذكر"ماكسيم المدوري Maxime de" Madaure في رسالة وجهها إلى القديس أوغسطين اسم عبد مات شهيدا مع بداية القرن الثالث للميلاد في" مادور" يسمى "نامفامو" مع مجموعة أخرى من الشهداء، والّذين تحولت قبورهم إلى مزارات وأطلق عليه سيد الشهداء Archimartyr و يستنتج "ميناج" بأنه أقدم شهيد في نوميدي، وربما كان أقدم من شهداء قرية "سكيلي"، كما عثر منطقة "ميلاف" بنوميديا على نقوش تذكر اسم شهيدين، الأول كان قسا نوميديا حكم عليه بالعمل الشاق بالمناجم سنة 325م، وشهيد آخر وجد اسمه منقوشا على لوح "أوبينا Uppenna " يعتقد بأنه نوميدي من خلال اسم والده.

ففي سنة 240م عقد مجمع في قرطاج بقيادة الأسقف "دوناتوسDonatus "سلف "قبريانوس " من أجل محاكمة أحد المنشقين وهو أسقف "لمبيزي" المسمى "بريفاتوسPrivatus " بحضور تسعين أسقفا. لقد كان الاضطهاد وقتئذ قويا في نوميديا وتعرض المسيحيون للنفي والقتل، وقدمت "لمبيزي" العديد من الشهداء منهم أسقفين اثنين وشماس وقراء واحد والعديد من الشهداء[2].

تذكر مصادر تلك الفترة مجموعة من الأبرشيات في نوميديا والتي تأسست في محيط مدينة "سيرتا" على الوادي الكبير كأبرشيتي "سيرتا" و "ميلاف Milev " و "كويكول Cuiculium " جميلة- وفي حوض سيبوس، وفي "وادي المالق" بتيفست، بل امتدت إلى المناطق النوميدية الجنوبية

[1] Albertini Eugène, l'Afrique romaine..,Opcit, pp.95-98.

[2] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص 156-157.

حيث وجدت سبع أبرشيات في محيط لمبيزي و"ماسكولاMascula "و"ثيموقادي" Thamugadiو"لماصباLamasba "و"طبنة" و"باديسBadias "وهذا في منتصف القرن الثالث للميلاد وسجلت الوثائق أسماء لشهداء مثل "نيفاليسNivais"و"ماترونا Matrona " و"سالفوسSalvus "من "كالاماCalama "و"ديناDigna "من "روسيكادا" و"كريسبينا " Crispinaفي تيفست[1]

و قدمت "ميلاف" العديد من الشهداء خلال فترة اضطهاد ماي 303 للميلاد منهم "إينوسنس " Innocens وصلت اضطهادات "دقلديانوس" إلى نوميديا ففي 5 ديسمبر 304م استشهدت في "تيفست" امرأة من عائلة نبيلة وغنية تسمى"كريسبين" Crispine لأنها رفضت تقديم الأضاحي لآلهة الإمبراطور وهي أصيلة منطقة "تاقورة "*Thagura وذلك على يد البروقنصل "أنولينوس Anullunus" و إلى الجنوب من قسنطينة وجد كهف "رار بريد Rar Brid" يعتقد بأنه مركزا لقداس مسيحي لاحتوائه على حفرة مربعة يعتقد أنها كانت معمودية.

و في"روسيكادا" وجد سطح رخامي يحمل نقيشة مهداة، وأبرشية بناها الأسقف "نافيجيوس" Navigius و مهدى إلى الشهيدة "ديناDigna " و في برج فرج –شرق قسنطينة، وجدت ابرشية تحمل نقيشة مهداة لشهيد، وأيضا في "برج ستيكBorj Stek"مابين عين البيضاء وتبسة- عثر على بقايا كنيسة بطول 21 متر و عرض 12 مترا

كما انتشرت المسيحية خلال نهاية القرن الثالث في"كالاما" وأيضا في "تاغاست Thagasteسوق أهراس "أكوا تيبليتيناو" Aqua Thibilitonae حمام المسخوطين[2].

وعثر على نقيشة مهداة لشهداء سقطوا سنة 303م في مدينة "ميلاف"خلال اضطهادات "دقلديانوس وفي موقع غرب قسنطينة "روفاشRouffach"عثر في مقبرة على إهداء للعديد من شهداء" ميلاف"ما بين سنتي 304و305 م من بينهم الشهيد "إنوسنس Innocens " و إلى

[1] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص 158-159 .

[2] Mesnage (J.), le christianisme en Afrique…, Opcit, p.123.

الشمال من الأوراس وجدت أبرشية "هنشير سعتود H. Saatoud "وفي موقع "سبيكرة" Sbikra مدخل لقداس مسيحي، وأيضا في "هنشير صفان H.Saffan "تتربع كنيسة على 200 متر مربع

واحتوت كنائس نوميديا على قوارير ترجع إلى عهد "قبريانوس" محفوظ بها دماء الشهداء مما يبين بأن المسيحية في نوميديا و خلال منتصف القرن الثالث للميلاد كانت قد حازت لنفسها مكانة في المنطقة، وشارك أتباعها في مختلف المجامع التي عقدتها الكنيسة، إذ بلغ عدد الأبرشيات النوميدية الّتي حضرت المجمع الكنسي لسنة 256م واحدا وعشرين أبرشية من مجموع 87 أبرشية حاضرة، وذلك من منطقة "سيبوس" شمالا إلى منطقة الشطوط الصغرى بالأوراس جنوبا، بحضور 18أسقفا نوميديا.

وبحسب "ميناج" فإن عدد أساقفة نوميديا إبان تلك الفترة ومن خلال "قبريانوس"كان 34أسقفا منهم 23أسقفا معروفا في قائمة سنة 256م وإضافة 11أسقفا آخر،بعد سنوات سيرتفع عدد أساقفة نوميديا في مجمع قرطاج لسنة 312م المنعقد للطعن في سياسة"كاكيليانوس"سبعين أسقفا يتزعمهم "سيكوندينوسSecundinusمما يبين أن المسيحية في نوميديا كان عدد أتباعها يتزايد وقدمت كغيرها للاضطهاد لتمسكهم بالعقيدة المسيحية ودلّت الآثار على شهداء من خلال النقوش الّتي وجدت في المنطقة والّتي ذكرت أسماء الشهداء المحليين من الجيتوليين وجدت في "هيبون"العديد من الأبرشيات والمصليات، ترجع الى عهد القديس "أوغسطين"، مثل أبرشية القديس"إيتيانSt.Etienne"وأبرشية "ليونتيانا Leontianaوالأبرشية الدوناتية وأبرشية "الشهداء الثمانية" ومصلية "العشرين شهيدا"وأبرشية القديس"ثيوجان Théogene "وأيضا أبرشية القديس"جيرفيي Gervais "و"بروتي Protai "وبازليكا الدوارين[1]. وتلك المؤسسات الدينية الكثيرة ارتبطت بالوجود الروماني الكثيف بتلك المنطقة وخصوصا بعدما تنصرت السلطة الزمنية.

[1] عمران عبد الحميد، المرجع نفسه، ص ص 159-160-161.

5- مقاطعة موريطانيا القيصرية :

بعد سنة 40م أصبحت موريطانيا تابعة للامبراطورية الرومانية وخاضعة لسلطتها، وتسيطر عليها قواتها العسكرية، التابعة رأسا للإمبراطور، ويسيرها حاكم برتبة "بروكروتور" Procuroteur قام أول حاكم لها "جوليوسJulius "بترسيم اسم قيصرية وأقام بها معبدا مكرسا لعبادة الإمبراطور . وقبل الاحتلال كانت موريطانيا تتمتع بسيادة ويحكمها ملوك محليون وبعد الاحتلال الروماني لها، انطلقت واحدة منها أهم ثورات القرن الأول بقيادة *"تاكفاريناس Tacfarinas " سنة 16 م والتي دامت ثماني سنوات إلا أن تمكن القائد الرومان "دولابيلاDolabila "من إخمادها وإلقاء القبض على زعيمها سنة 24م، وبدأت روما تتوغل في موريطانيا القيصرية بعد احتلال شمالها، وسيطرتها على المناطق الخصبة التي ألحقتها نهائيا بروما، وخوفا من هجمات سكان المناطق المجاورة. وأقامت خط الليمس في موريطانيا في عهد الإمبراطور "سيبتيموس سيفيروس" ما بين سنتي 201 م و 198 م وثبت بها العديد من الفرق العسكرية.

و أقام مجموعة من الطرق وأقيمت شبكة الطرق لاستخدمات العسكرية والاقتصادية، ومن أهمها الطريق الممتد من "سيتيفس"، "الحضنة" و"أوزيا" وحوض الشلف ،نظرا لقوة التمردات في تلك المنطقة الرافضة للاحتلال وغيرها من المناطق التي احتلتها روما، إذ أن تلك الثورات التي لم تتوقف وبقيت المناطق المعزولة والجبلية مستعصية على قوات الاحتلال، وفي حالة احتلال منطقة جديدة فإن ذلك يلقى هيجانا كبيرا من قبل السكان الأهالي الذين لم يتوقفوا عن رفضهم للاحتلال ومقاومته بكل الوسائل المتاحة آنذاك[1].

[1] عمران عبد الحميد، المرجع نفسه، ص ص 171-172

*تاكفاريناس"، قائد عسكري نوميدي اشتغل كجندي مساعد في القوات الرومانية، ثم هرب من الجندية وبدأ في تجميع اللصوص و قطاع الطرق" برواية "تاسيت" وشرع في الإغارة والسرقة على ممتلكات الغير، ثم جمع جنوده في تجمعات عسكرية منظمة ومدربة عسكريا، وصار قائدا لقبيلة "الموسولامي" المتاخمة للصحراء، والتي استطاعت أن تقنع القبائل المورية بقيادة "مازيبا" لتتحد معها وكون جيشا قويا تحت قيادته، درب جنوده على الانضباط والحرب التي خاضها بشراسة توفي في معركة مع البروقنصل "دولابيلا" في بداية سنة 24م.

ودعمت روما قواتها العسكرية في موريطانيا القيصرية كإقليم لا يتمتع بالسلم الذي تنشده روما من خلال قوة التمردات والثورات ومنها ثورة 253م والتي شملت مناطق متفرقة من المقاطعة القيصرية، إذ ثارت القبائل ضد التنظيم القضائي والمالي الروماني لتشمل مناطق الظهرة والأطلس المتيجي والتيطري والبيبان والقبائل الكبرى والصغرى لمهاجمة المدن والمستوطنات الرومانية. وتحالفت تلك القبائل مع بعضها في إطار ما يعرف بالحلف الخماسي*، ومع قبائل أخرى مثل" البوار " Bavars و التي تتواجد بأوزيا وبمناطق أخرى من موريطانيا وتحكمها حدود إدارية لأنها قبائل رحل مع الفلاحين الأحرار والعمال وحتى بعض الذين كانوا قد أعلنوا ولاءهم للرومان ضد الاستغلال البشري و الاقتصادي، والسيطرة على الأرض الخصبة من قبل الاحتلال لتمتد على طول ألف كلم من "ميلاف" شرقا إلى "ألتافاAltava" أولاد ميمون بالقرب من تلمسان –غربا.

و يرجح أن مجال تلك القبائل الجغرافي يمتد في المنطقة الغربية لموريطانيا السطيفية إلى غاية حدود موريطانيا القيصرية الشرقية في مناطق القبائل و البيبان إلى غاية" أوزايا "وبقيت تلك المناطق الجبلية مستعصية على السيطرة الرومانية وظلت القبائل تعيش على الزراعة الجبلية وتتنقل ما بين المناطق التلّية الغربية والشرقية كما هو الحال بالنسبة لقبائل" البوار "، وبقي سكان المناطق الجبلية يتهربون من سياسة الرومنة، ولم يترددوا إطلاقا في تحديد أصولهم، لمواجهة الخطر المشترك، وبكل وضوح بقوا يرفضون الخضوع ومرات القطيعة لسلطة مثبتة بالقوة وعليه كان الجبلي والأفريقي يرفع عناده ضد المحتلين، وتجلى ذلك بأكثر قوة في موريطانيا وفي نوميديا منه في البروقنصلية، بدليل أن هؤلاء الرافضين قد ثاروا في منطقة موريطانيا القيصرية بعد قرن من الاحتلال.

*قبائل الحلف الخماسيQuinquegentanei) (و هي اتحاد لخمس قبائل تتمركز ما بين بجاية و دلس أي ما بين جرجرة ولساحل، وتتالف من القبائل التالية:"الماسينيسنسMasinissenses) ("وقبيلة "التيندنسسTyndenses) ("وقبيلة "إيسافلنسس Isaflenses) و قبيلة "جيبالنيjubaleni) ("وأخيرا قبيلة "جيسالنسسJesalenses) (" و هي قبائل رعوية متنقلة شكلت تهديدا مستمرا للاحتلال الروماني.

ولم يتوانى"فاليران" عقب احداث وثورة 253 م إخضاع السكان، على اعتبار أن سكان الجبال وعدم الخضوعهم للأجنبي بدليل أن تاريخ المنطقة ظل مليئا بثورات الأهالي ضد الرومان[1] مما جعل روما تقيم مراكز عسكرية جديدة دفاعية كما تظهر من خلال النقوش « Defensor provinciae suae » وتقدم القرابين لآلهتها، كما فعل قائدان للجيش الروماني في نهاية جويلية 254م حيث أقاما قربانا للإله "جوبيتير" والآلهة الرسمية بمناسبة تحقيق انتصار على ثورة الأهالي .

وقام القائد الروماني "أوليوس بريميانوسAelius Primianus "بإقامة ثلاث مستعمرات في "أوزيا "و"روسقيناوRusgnae "و"إكويستوEquisto"وذلك في 16فيفري 255م وامتدت إلى نوميديا حيث وجد نذر تقدم به قائد الفرقة الأوغسطية الثالثة في مدينة " كويكول" إلى الإله "جوبيتر" يشكره على انتصار جيشه وذلك في 17جويلية 255م، مما يدل على قوة تلك الثورة من جهة وأيضا تكثيف الوجود العسكري من جهة أخرى للقضاء.

و في سنة 260 للميلاد جدد القائد "فراكسان Fraxan "ثورته ضد الرومان انطلاقا من "أوزيا" Auzia قبل أن يقضي عليه القائد الروماني "جارقليوس Gargluis "والذي يلقى حتفه على يد فارس موري منتسبا للثورة، واستمرت غزوات القبائل الأهلية بعد ذلك في سنوات 289م و 297و 298م مع سلم متقطع، وامتدت من حوض الصومام إلى مناطق أخرى. وبصفة عامة تميز الوضع بالتوتر بعد حملات الاضطهاد والسجن عدد كبير من الأهالي لصعوبة التحكم في المنطقة.

يبقى تاريخ بداية المسيحية في تلك المنطقة غامضا، فيما ما وجد في "تيبازة Tipaza "، و"شرشال" على الساحل من بعض الأثريات المسيحية والّتي تعود إلى القرن الثالث للميلاد, ويبرز ذلك من خلال غياب أساقفة موريطانيا عن المجامع الأولى للكنيسة الأفريقية وخاصة مجمع قرطاج لسنة 250 للميلاد برئاسة الأسقف قبريانوس، رغم أن "ترتليانوس" يشير إلى وجود مسيحيين وذلك

[1] عمران عبد الحميد، المرجع نفسه، ص ص 172- 173.

من خلال رسالته إلى البروقنصل "سكابولاScapula "حيث تحدث عن الاضطهاد الّذي مارسه حاكم موريطانيا على الجماعة المسيحية[1].

أما المصادر المادية المتعلقة بأقدم النقوش المسيحية في موريطانيا القيصرية نجد بمنطقة " أوزيا " والّتي ترجع إلى الفترة الممتدة ما بين سنتي 169م و 300م بحسب دراسة فيفري" كما تعود أقدم المقابر المسيحية إلى فترة حكم "سيبتيموس سيفيروس"مع نقوش متماثلة في "تيبازة "و"القيصرية " ترجع إلى القرن الثالث للميلاد ومنها واحدة بتيبازة مؤرخة بسنة 238م.

فضلا عن ذلك نجد أن المعلومات المتعلقة ببداية الانتشار المسيحي بتلك المقاطعة يسودها الكثير من الغموض، نظرا لقلة الوثائق وتناقضها في الكثير من المرات، فمثلا تذكر لنا الوثائق اسم أحد أساقفة مدينة مجاورة للقيصرية باسم "فورتوناتوسFortunatus "وتذكره في أخرى باسم "إفيلبيوس" وإلى غاية القرن الثالث للميلاد لم يظهر أي أثر للجماعة المسيحية في المدن الساحلية الموريطانية، ففي "روسوكوري Rusucurru "بمنطقة القبائل أكتشف قبر يحتمل أنه لمسيحي يعود إلى سنة 299م، ومن تلك المدينة الشهيدة " ماسيانا" وقدمت تيبازة العديد من الشهداء وأقدم قبر مسيحي يعود إلى سنة 238م.

وفي حوض الصومام عثر في مدينة "توبوسوبتو". Tupusuptuتيكلات- مستعمرة أوغست على قبر"أوميليي ".Aemiliiوالذي يعتقد بأنه مسيحي. ومع بداية القرن الرابع للميلاد بدأت تظهر كنائس و مقابر لدفن شهدائهم و موتاهم ، ففي تيبازة عثر على بقايا لمقابر مسيحية تعود إلى أواخر القرن الثالث للميلاد، في حين تعود أقدم القبور المسيحية التي عثر عليها في "بوماريا" Pomaria تلمسان في القرن الرابع للميلاد.

كما عثر على نقوش تذكر أسماء شهداء من موريطانيا القيصرية ، ففي تيبازة يذكر الشهيد "فيكتورينوس- Victorinus " و الّذي ورد اسمه على نقيشة مؤرخة ما بين 315 و 320 م و"سوفوسار Sofosar "الّذي ذكر اسمه على نقيشة مؤرخة بسنة 320م، واسم الشهيد الطفل

[1] عمران عبد الحميد، المرجع نفسه، ص ص 174- 175.

"ماكسيموسMaximus "و"داتيفوس" Dativus و حملت نقيشة مؤرخة بسنة 329م "مدينة " Madiouna أسماء شهداء شباب وهم : "روقاتوسRogatus"و"ماينتوسMaientus " و"ناسوسNasseus "و"ماكسيماMaxim" [1]

و أن المسيحية كانت بطيئة الانتشار في تلك المقاطعة وحسب المؤرخ " مونصو" فأن المسيحية في شمال أفريقيا يقل انتشارها من الشمال إلى الجنوب و من الشرق إلى الغرب ويقل وجودها كلما ابتعدنا عن البحر أو عن قرطاج وكذا الطرق الكبرى مما يعني ارتباط المسيحية بحركة الرومنة وبالكثافة السكانية .

و أقدم شهداء القيصرية هو "فابيوس فيكليسبرFabius vixillifer "والذي يمكن أنه استشهد ما بين سنتي 299و 304م في مدينة قيصرية، واستشهدت في نفس الفترة مجموعة أخرى يذكر منها "أركاديوسArcadius "في 304/01/12م و"سيفيروس" Severius و"أكويلاAquila" في 304/01/23 م ،.و"ثيودوتا Theodotal "والأبناء السبعة و"أركاديوس " Arcadius و"مارسيانا Maricianal "وإلى الغرب عثر على كتابات مسيحية في "كاسترا بوروروم Castra " Puerorumالأندلسيات–تعود إلى سنة 289م، وفي "ريجياوRegiae "غير بعيد عنها، تعود إلى سنة 295م.

وجدت بقيصرية نقيشة تحمل اسم "سيفيريانوسSiverianus " و الذي مات أثناء اضطهادات "دقلديانوس" مع نهاية القرن الثالث للميلاد. ويتطابق ذلك مع وجود نقوش مسيحية في العديد من مناطق مقاطعة القيصرية، إذ وجدت نقوش مسيحية في "سيفسارSufasar "يرجع تاريخها إلى ما بين سنتي301و322م وفي "مانليانا Manliana" خميس مليانة و "زوكشابار " Zucchaber مليانة– تعود إلى الفترة ما بين 300 و 314م و"كارتينا Cartenae تنس– ترجع إلى الفترة الممتدة ما بين 357 و 412م[2].

[1] عمران عبد الحميد، المرجع نفسه، ص ص 176– 177.

[2] عمران عبد الحميد، المرجع نفسه، ص ص 177– 178.

و بدء من القرن الرابع بدأت تبنى الكنائس و الأبرشيات في تلك المقاطعة رغم استمرار حملة الاضطهاد التي لم تتوقف وكانت إما للتعصب الوثني، أو لرفض السلم الديني الذي أقرته السلطة أو نتيجة للصراع بين الكاثوليك و الدوناتيين، وإن عرفت أسباب استشهاد البعض، مثل شهداء منطقة "رونوRenault "الذين استشهدوا في 21أكتوبر 329م، والّذين ذُكرت أسماؤهم على نقيشة، وهم "روقاتوس" و "ماينتوس Maientus" و "ناسوس Nasseus" و "ماكسيما Maximal " و الّذين يعتقد بأنهم كانوا دوناتيين حسب "مونصو " فإن أسباب قتل الشهيد "تيباسيو س Tipasius " في "تيقافاTigaval" الخربة – بحوض الشلف تبقى غير معروفة. و حسب "مونصو" فإن شهداء 1نوفمبر 329م والّذين كان من بينهم "بوناقيوسBennagius " و"سيكتوسSextus "من الكاثوليك و ماتوا في معركة على يد الوثنيين أو الدوناتيين ظهرت نقوش في "نيمورس سيروريم" Numerus Syrorum مغنية– لسنوات 344م، 348 و 359م ونقيشة في منطقة "تيارت" لنفس السنة كتابات مسيحية مما يدل على الانتشار في أقصى غرب و جنوب المقاطعة، بل الدخول في قلب الصراع الذي دلت عليه نقيشة في الشمال الشرقي لمدينة تيارت مؤرخة في سنة 361م وتحمل اسم شهيد.

يورد "أوبطا الميلي" Optat de Milev اسم "فرباي نVrbain " كواحد من آباء الدوناتية أثناء حكم "قسطانس" و"جوليانوس" والّذي تعرض للاضطهاد الكاثوليكي، ويعتقد أنه من تيبازة كما و صلت المسيحية إلى مناطق أخرى أظهرتها النقوش المتعددة مثل "مشرع الصفا" سنة 356م و"بوماريا Pomarial"تلمسان– ما بين سنتي 372 و 373 م، ألابيلاوAlbulae " عين تيموشنت–سنة 409م وتيارت 415م و" ألاميلارياAla Miliaria " بنيان–سنة 421م و"قطنة Guetna "سنة 414م .بالشمال الغربي من الموقع السابق بسهول "أغريس"، حيث وجدت مقبرة مسيحية مع نقوش تبدأ من سنة 421م[1].

[1] عمران عبد الحميد، المرجع نفسه، ص ص 182– 183.

اما "تيبازة" فهي غنية بالأبرشيات المدنية والأبرشيات المقدسة .الموجودة بالمقابر كما توجد بها كنيستين، وأخرى مكرسة للقديسة "سالصا "والتي بنيت على شرفها التي استشهدت في سنة 320م حسب ما ورد في كتاب آلام القديسة سالصا ،هي كانت ضحية اضطهاد الوثنيين[1].

ما عُثر بمدينة كارتيناس Cartennas تنس على نقيشة تحمل أسماء شهداء محليين، و أخرى بوادي شلف تشير إلى تواجد المسيحيين في المنطقة أواخر القرن الثالث الميلادي.

و في غرب وهران بمنطقة "كاسترا بوروروم Castra Puerorum"الأندلسيات عُثر على نقوش مسيحية تعود إلى سنة 289 م، و في " ريجيا Regiae ا "اربال تؤرخ لسنة 295 م، و النقوش الّتي عُثر عليها بمقابر "ألطافا " Altava أولاد ميمون أُرخت ما بين 301م و 305م و في لامورسيير شرق تلمسان تعود إلى بداية القرن الرابع الميلادي، أقدمها تُؤرخ لسنة 302م مما يّدل على تواجد المسيحيين في هذه المنطقة.

و حتى و إن لم نذكر كل النقوش و القبور التي عُثر عليها في بلاد المغرب القديم، تواجد المسيحيين في مختلف المناطق، و بنسب متفاوتة حسب المقاطعات، فالباحث مونصو بول أشار إلى أن النقوش التي ذُكرت فيها أسماء الشهداء والقديسين منتشرة في إفريقيا خاصة في الجزائر و تونس وعدد معتبر من شواهد القبور لها علاقة مباشرة بتقديس الشهداء و القديسين تُعتبر ممارسة الشعائر الدينية أمرا ضروريا بالنسبة للمسيحيين، لذلك اهتموا بتشييد الهياكل وتنظيم شؤونها الداخلية[2].

[1] أيحيي سعيدة، الديانة المسيحية في المغرب القديم من نهاية القرن 2 الى بداية القرن 5م 180-411م، أطروحة الدكتورة تحت اشراف رضا بن علال، جامعة الجزائر، 2017/2016، ص 270.

[2] ايحي سعيدة، المرجع نفسه، ص 271.

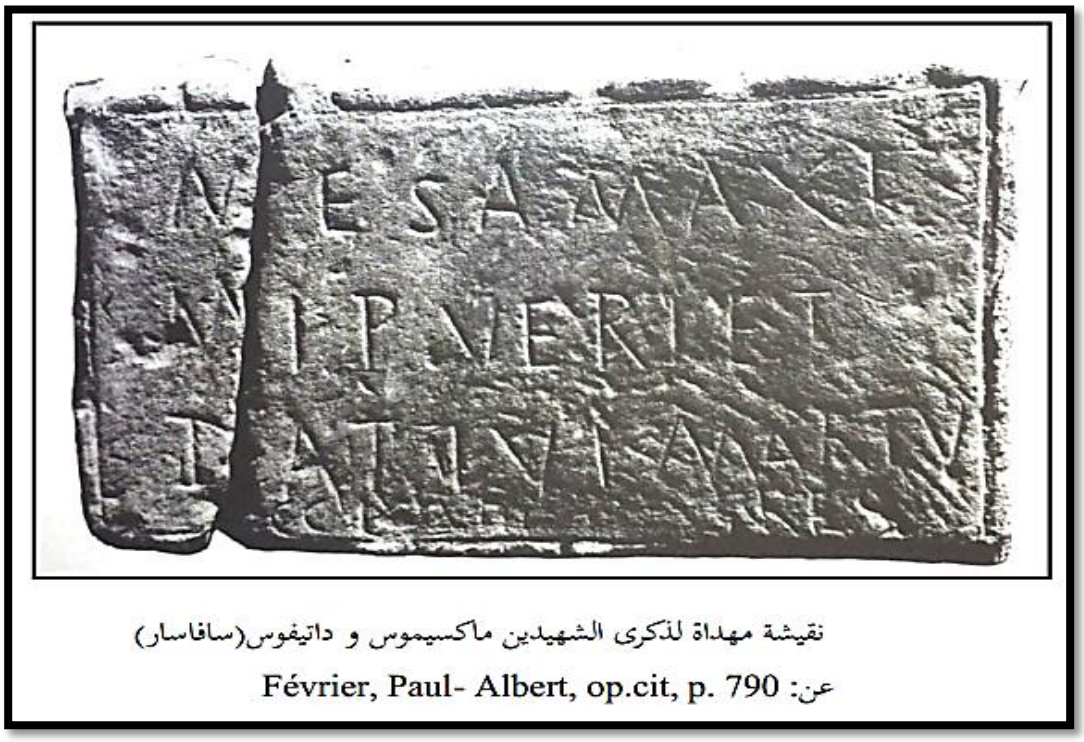

نقيشة مهداة لذكرى الشهيدين ماكسيموس و داتيفوس(سافاسار)

عن: Février, Paul- Albert, op.cit, p. 790

أيحيي سعيدة , الديانة المسيحية في المغرب القديم من نهاية القرن 2 الى بداية القرن 5م 180–411م .

أطروحة الدكتورة تحت اشراف رضا بن علال , جامعة الجزائر , 2017/2016 , ص 271

6- مقاطعة موريطانيا الطنجية

إن تاريخ المسيحية في موريطانيا الطنجية نادرة نظرا لقلة المصادر و عدم ذكرها التاريخ المسيحية بتلك المنطقة الّتي ألحقت بمقاطعة اسبانيا منذ سنة 297م وحتى430م ولم تتكلم المجامع الكنسية على أساقفة تلك المنطقة, وما ذكر للمساهمة في التاريخ المسيحي يعود إلى شهداء أثناء اضطهادات "دقلديانوس" وهما"مارسيلوسMarcellus "قائد المائةوكاسيانوس Cassianus كاتب بالمحكمة وهما من الحاميات العسكرية الرومانية ولا ينتسبان إلى جماعة مسيحية أهلية ،وتحوم شكوك حول انتساب هذين الشهيدين، يذهب الكاتب "ر. توفنو R.Thouvenot "إلى أن الشهيد "مارسيلوس" من أصل إسباني وأن الظروف هي التي ساقته لكي يستشهد بطنجي في حين أن الثاني من "طنجي[1]."

[1] عمران عبد الحميد، المرجع السابق ص 186

"مونصو" يؤكد بأن هذا القائد قد رفض تقديم الطاعة لعبادة الإمبراطور "ماكسيميان" وألقى بزناره وعصاه وقال:- "أنا أؤمن بالمسيح و بالملك الأزلي" ثم رمى سلاحه وعصا القيادة، وأضاف:- "من الآن فصاعدا لن أخدم إمبراطوركم، لن أتقدم بالعبادة لآلهتكم، المصنوعة من حجارة و خشب والتي هي عبارة عن دمى صماء و خرساء، ولأنه يفرض على الجنود تقديم الأضاحي للآلهة والإمبراطور بالقوة فإنني أرمي أمامكم بزنار وعصا قيادة المائة و لن أخدم الجيش." قال ذلك في حفل التقديم للإمبراطور، ليلقى عليه القبض وتتم محاكمته من قبل حاكم طنجي "أنساتسيوس فورتوناس " Anastasius Fortunatus وحكم عليه بالإعدام والتنفيذ في نفس اليوم وذلك في 21أوت 398م السنة التي عرفت مطاردة المسيحيين في الغرب.

من هذه الرواية فإن "مارسيلوس" كان مجندا بطنجي وأكتشف المسيحية الّتي آمن بها، وقد يكون ذلك من خلال اتصاله بمناطق انتشارها، أو يكون قد نقل من منطقة تنتشر فيها و لم يكن من سكان المنطقة بل كان مجند ووصول المسيحية الى المنطقة دور الجند في نشرها أما لشهيد كاسيانوس كان موثقا في محكمة الّذي استشهد أكتوبر 398م ليصير قديسا له دور في حركة التنصير في المنطقة واكتسب شهرة كبيرة,و أما مار سيليوس كان كاتبا رفض قوانين الرومانية

ولم تشير المصادر إلى شهداء آخرين بموريطانيا الطنجية سواء خلال تلك الفترة أو الفترات اللّاحقة، ويجهل كل شيء عن المبشرين الأوائل الّذين وصلوا إلى "طنجي" ويعتقد بأن التبشير بالمسيحية في تلك المنطقة منذ أواسط القرن الثالث للميلاد بالنظر إلى الاثار.

ومنه ثلاث نقوش مسيحية وجدت بمقبرة بطنجي ولكن لا يجزم بأنها ترجع إلى الفترة الرومانية لغياب أدلة نصية ونقوش أخرى تدعمها .

و تذكر المؤرخة "تولوت" اسم أربع كنائس بموريطانيا الطنجية وهي : "طنجيسTngis " و"فاسFez "و"مروكMaroc "و"سبتةSebta" [1] .

[1] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص ،187 -188-190.

إن الحديث عن قوة انتشار المسيحية في بلاد المغرب القديم يعود إلى الفترة الّتي أعقبت عصر الاضطهاد الدقاديانوس ، و خاصة بعد تنصر السلطة مع بداية القرن الرابع الذي عرف تكثيفا لبناء الأسقفيات خريطة و الملاحظ أن تطور تلك الديانة كانت أكثر في نوميديا و موريطانيا السطيفية، وعرفت اضطهادات في القرى الرومانية و لم يتم تسجيل ذلك في مناطق الأهالي وظلت القبائل الأهلية على وثنيتها، أما المترومنون وبعض سكان المدن فوجد منهم مسيحيون إمّا القبائل الّتي لم تحتك بالرومان فلم تتدين بغير الوثنية. ومن خلال بحثنا في تلك المنطقة نجد بأن المسيحية بموريطانيا الطنجية ظلت قليلة الانتشار وأن تاريخها يكتنفه الكثير من الغموض في غياب مصادر نقوشية ونصوص واضحة، وأن كل ما عثر عليه إنما يخضع لفكرة التأويل من طرف الباحثين الأوربيين الذين كان لهم السبق في الاتصال بتلك المصادر وقراءة بعضهم لها قراءة مزاجية – حسب رأينا– وأن هناك خلط بين الفترة الرومانية والفترات اللّاحقة حول تاريخ تلك الديانة [1]

7- مقاطعة موريتانيا السطيفية:

انفصلت تلك المقاطعة السطيفية عن موريتانيا القيصرية إلّا في عهد الإمبراطور "دقلديانوس" الذي أعاد التنظيم الإداري لمستعمرة إفريقيا ، و قسمت موريتانيا إلى قسمين موريتانيا القيصرية وعاصمتها القيصرية Césarée شرشال" والسطيفية و عاصمتها "ستيفيسSetifis "و ذلك سنة 371م.

تقع المقاطعة بين وادي الكبير "أمساجاAmpsagas "شرقا حتى مرتفعات البيان غربا وتحتوي على مناطق جبلية تكثر بها المراكز العسكرية.[2] وقام بإلحاق مقاطعة موريتانيا الطنجية بإسبانيا [3] و في سنة 240 م كانت هضاب "ستيفيس" ممتلئة بالحصون لمجابهة تمردات السكان ولتوفير السلم و هي

[1] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 192.

[2] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 163.

[3] مُحَمَّد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني)بحث في منظومة التحكم العسكري "الليمس"الموريطاني ومقاومة المور، ج، ،1ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999ص ص ..81-80 .

السياسة التي طبقها"غرديان الثالث Gardien III "في مرتفعات"ستيفيس " [1]وهي منطقة غنية بثرواتها الزراعية، مهم للتجارة والتنقل، فضلا عن كثافتها السكانية وتواجد المعمرين فيها بشكل كبير وتتحكم في الأضلع الشمالية والجنوبية، ما بين جبال البيان و الحضنة، أدرك القائد "نرفاNerva " أهميتها فأقام بها مستعمرة لرومنة المنطقة و إخضاعها في عهد الإمبراطور "هدريانوس" Haderie

وتذكر المصادر عرَفت المسيحية فيها منذ وقت مبكر، وتذكر اسم أسقفين كانا موجودين سنة 256 م ، الأول و هو "جوبانيوسJubaianus "أسقف "نوفاريسياNovaricia"بني فودة سيلاق الحالية و الثاني "كونيتوسQuintus "أسقف "ستيفيس" ، التي كانت تحتوي على جماعة مسيحية وعثر فيها على نقيشتين مسيحيتين مؤرختين ب 225م و228م، وهما من أقدم النقوش المسيحية في أفريقيا [2]و يذكر القديس "قبريانوس" هذين الأسقفين في مراسلة يخبرهما فيها بنتائج مجمع 256 م الخاص بالنظر في إعادة تعميد الهراطقة، ويذكر بأنها أسقفين موريتانيين دون تحديد لمنطقتيهما كما تذكر النقوش الجنائزية اسم "سرتوريياSertoria "والتي يعتقد بأنها مسيحية[3]

وسقط خلال اضطهادات "دقلديانوس" بمقاطعة موريتانيا السطيفية العديد من الشهداء في مناطق مختلفة مثل "بير حدادةBir Haddada " إلى الجنوب الشرقي من سطيف حيث عثر على نقوش تخلد شهداء المنطقة كما عثر في نفس المنطقة على آثار أبرشية بسيطة وغير بعيد عن "بير حدادة" سقط شهداء منطقة "عين ملول Ain melloul حيث عثر على مذبح كنسي مع بقايا كتابة نقشية تذكر اسم الشهيد "منساMensa"والشهداء "دوناتوسDounatus " و"فيلكس " Filixو"باريكBaric"وهذين الاسمين الأخيرين يوجدا أيضا على نقشية في موقع آخر في "عيون بريشAioun Berric " وفي منطقة "خربة أعقوب "Kherbet Agoub "بمجانة– شمال برج بوعريريج– عثر على موقع كنسي به مذبح كنسي إهدائي وغير بعيد عن "مجانة و بمنطقة "حسناوة

[1] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 163.

[2] Mesnage, le christianisme ,Opcit, p.126

[3] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 164.

"وجدت آثار أبرشية بطول 34.20متر وعرض 13,60متر شكل 10، وجدت نقيشة تحمل أسماء شهداء.[1]

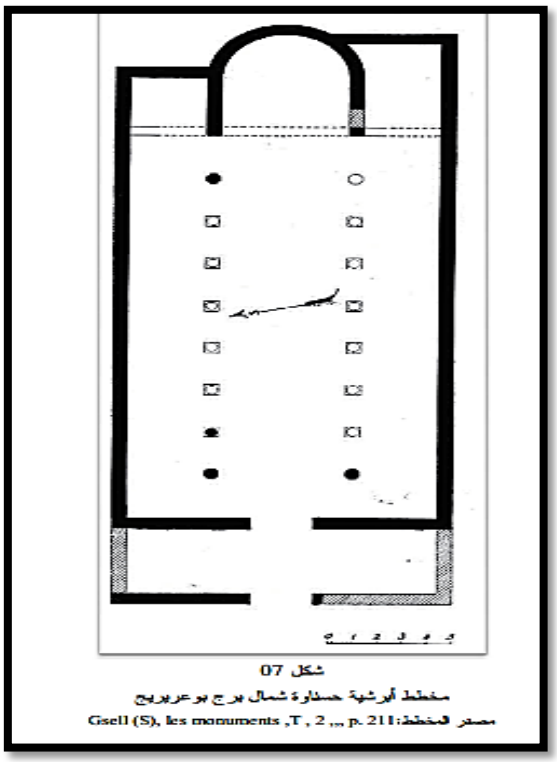

مخطط أبرشية حسناوة شمال برج بوعريريج الشكل 10

عمران عبد الحميد ,المرجع السابق ,ص 165

واكتشفت العديد من الأنصاب المسيحية تعود إلى القرنين الثالث والرابع للميلاد في أماكن متعددة و منها موريتانيا السطيفية التي عثر بها على العديد من الآثار المسيحية مثل "عين ترك Ain turk" بمنطقة سطيف التي وجدت بها آثار أبرشية، و"ببيار أولاد عثمان" ناحية سطيف حيث وجدت آثار أبرشية أيضا.

وعثر على نقيشة تعود إلى سنة 359م بمنطقة "تكستيرTixtir "غرب سطيف، تذكر العديد من الشهداء خلال تلك الفترة، والذين استشهدوا بالبروقنصلية ونوميديا. وذلك كنوع من التقديس لهم ،وتعدى ذلك إلى حد تقديسهم و التبرك بهم، و يظهر ذلك في نقيشة مؤرخة في سنة 359م،

[1] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 164.

وجدت في قبر بالقرب من"ستيفيس" تحمل تقديسا للقديس "قريانوس "الذي كان قد استشهد قبل سنة من تاريخها، مما يظهر علاقة المسيحيين ببعضهم البعض في أنحاء بلاد المغرب القديم، وتضامنهم مع بعضهم البعض، و أما من شرق موريتانيا السطيفية وجدت مدينة أسقفية تسمى "مورنس" Mons إلى الغرب من مدينة سطيف عثر على نقشية تعود إلى سنة 362م تذكر شهيدين قتلا بأمر من الحاكم "ماكسينيانMaxinian "وهما من أصل محلي، وإلى الجنوب من نفس المنطقة وجدت بقايا كنيسة "بزابىzabi "بشيلقة المسيلة وتضم مركزا لأسقفية "زابي" Zabi و"ماكريMacri "مقرة و"آراسAras "تارمونت ومن أهم أساقفتها "فيلكسFilix"الّذي يعتقد أنه كان دوناتيا، كما توجد إلى الغرب من مدينة المسيلة بحوالي 25 كلم وفي موقع "خربة الرصاص" بقايا أبرشية رومانية، وفي الحضنة جدت آثار كنيسة بمنطقة تيمدوت "Timedout .

كما وجدت أبرشية في منطقة "المعاضيد" حيث أقيمت القلعة الحمادية، ولكنها تعرضت لهجوم من قبل أسقف "زابي" الدوناتي "فيليكس" والّذي قاد مع زميله الأسقف "جورانيوس دي تلاسينJennarius Detlacin" حملة لضرب المؤسسات الدينية الكاثوليكية في المنطقة

وشرقا حملت نقيشة يعود تاريخها إلى 10سبتمبر 255م بـ"طبيناوTubunae" طبنة " اسم القديس"ميميسان Mémésien" مع القديس" قبريانوس" وآخرين من روما ومن إفريقيا،كما عثر أيضا على نقشية تحمل اسم أخوين بمنطقة"تاكسبت Taksebt "بمنطقة القبائل يعود تاريخها إلى 06نوفمبر من سنة 260م[1].

وكان من عادة المسيحيين مع بداية القرن الثالث إقامة أضرحة لشهدائهم في الأماكن الّتي استشهدوا فيها، إحياء ذكرى استشهادهم، كدلالة على إظهار مدى الاضطهاد و العنف.

[1] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص 167-168.

ومن الأكيد أن المنطقة غنية بآثار الكنائس، إلا أنه وبالنظر إلى عدد الأبرشيات المشاركة في مجمع قرطاج والّذي بلغ عددها 432 أبرشية، لا نجد سوى 29أبرشية سطيفية، مما يدل على أن عدد المنتصرين في تلك المقاطعة كان قليلا مقارنة بباقي المقاطعات الأخرى وأن المسيحية انتشرت بين أوساط المعمرين والجنود بشكل أكبر، ونلمس ذلك من خلال الانتشار في المناطق السهلية والخصبة، في حين لا تكاد نجد آثار المسيحية في المناطق الجبلية والمناطق البعيدة عن المراكز الاستعمارية وحتى أسماء الشهداء المذكورة في مختلف نقوش المقاطعة هي عبارة عن تذكار لأسماء شهداء في مناطق أخرى[1].

[1] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 169.

الفصل الثالث

موقف السلطة الرومانية من الديانة المسيحية (الفعل)

موقف السلطة الرومانية من الديانة المسيحية

1- الاضطهاد الديني :

لم يسر الاضطهاد الديني على وتيرة واحدة, بل كان يشتد ويضعف حسب الظروف السياسية التي كانت تمر بها الإمبراطورية الرومانية وحتى وإن اختلفت أسباب الاضطهاد ,باختلاف الزمن واختلاف الشخصيات الحاكمة يبقى السبب الرئيسي والمتمثل في عبادة الإمبراطور مهما في نظر الأباطرة لما له من أهمية سياسية , حيث شعر بالخطر التي شكلته المسيحية على الجهاز السياسي وضرورة حماية الدولة[1].

كبداية أقدم بعض المجندين بالرفض القيام بالخدمة العسكرية صمّم دقليانوس على إظطهاد المسيحيين و تطهير البلاط والجيوش والإدارات منهم .[2]

فالتزم المسيحيين الأوائل في المغرب القديم بالصمت والسرية تجنبا لإثارة السلطة الرومانية والّتي بدورها سخرت كل الوسائل المتاحة وكل الأساليب لفرض عبادة الامبراطور[3].

أما اضطهاد الإمبراطور دقلديانوس (284-305م) فهو الاضطهاد العاشر وهو معروف في تاريخ الكنيسة بأنه أخطر وأعنف اضطهاد على الإطلاق، وقد أشرك معه سنة 286م مكسميوس ليكون إمبراطور في الشرق وقد بدأت الحملة العنيفة 21 وليتحكم أكثر في انتشار المسيحية شرقا وغربا للإمبراطور دقلديانوس عام 303م ضد المسيحيين وذلك بإصدار أوامر بهدم كل الكنائس المسيحية وإحراق كتبهم واعتبار المسيحيين خارجين عن قانون لإمبراطورية الرومانية وبالتالي وجب معاقبتهم، وحتى العاملين في الجيش الروماني المعتنقون للديانة المسيحية وجب إعدامهم بدعوى أن الرب لم يقبل 22 ذبيحته بسبب وجود بعض من جنوده مسيحيون أفشلوا احتفاله مع الإله.

---

[1] شافيا شارن و اخرون، المرجع السابق، ص 234.

[2] عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ماقبل التاريخ الى 1962، الجزء الأول، دار المعرفة، باب الواد، الجزائر، ص 54.

[3] Derdor ehcen. Annaba25 siecle de vie quotidienne et de lutte. Tome 1 sned alger 1982.pp83-89.

و بموت الإمبراطور دقلديانوس انتهى عصر الاضطهاد المسيحي بفصوله العشر حيث أن اعتلاء الإمبراطور قسطنطين العرش حل السلام 23بمرسومه "ميلان" الّذي سمح للديانة المسيحية بممارسة نشاطها بكل حرية[1].

ومن أمثلة من اعتنقوا الديانة المسيحية وتعرضوا لمواقف إدارة الانعدام الجيش نجد[2] :

1- القديس غورديوس (Saint Gordius) (القرن الثاني الميلادي) والّذي كان قائدا للجيش بموريتانيا القيصرية فاعتنق المسيحية وترك خدمة الجيش مما أدى إلى إعدامه.

2- القديس ماكسليميان : Maximilien saint ولد بمدينة تبسة خلال القرن الثالث الميلادي وكان يعمل كجندي في صفوف الجيش الروماني بإفريقيا اقتنع بالديانة المسيحية رغم الأوامر الصارمة و الانضباطية المعروفة بالجيش الروماني و أمام إصراره على عدم التراجع عنها خضع لمحاكمة في 12 مارس 295م من قبل بروقنصل إفريقيا ديون وأصدر حكم بإعدامه وهو في سن العشرين حينما رفض أداء القسم الخاص بالجيش الروماني لتعارض ذلك مع معتقداته المسيحية الّتي ترفض تكريس تقديس الإمبراطور[3].

3- القديس مارسال: Mercel Saint كان يعمل جندي في صفوف الجيش الروماني بمدينة طنجة رفض أن يعلن ولائه لعبادة لإمبراطور قائلا "أنا جندي مسيحي" فتعرض للإعدام سنة 295م وسط اتهامات الإدارة الإمبراطورية له ولأمثاله بمحاولة خلق جيش مسيحي داخل الجيش الروماني في الوقت الذي كان فيه الجيش الروماني بأمس الحاجة لجنوده لمجابهة خطر الوندال .

4- القديس تابسوس :Tapsus أيضا كان جندي في ضواحي موريتانيا القيصرية أعلن ولائه للديانة المسيحية سنة 298م وأمام أعين الإمبراطور ماكسيميان الّذي كان في مهمة تشجيع جنوده

---

[1] بوابة ASJP، أ بن عطا الله عبد الرحمان، انتشار الديانة المسيحية في افريقيا خلال الاحتلال الروماني وموقف السلطة الرومانية منها، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تبسة، ص 04.

[2] بوابة ASJP، أ بن عطا الله عبد الرحمان، ص 05.

[3] بوابة ASJP، أ بن عطا الله عبد الرحمان، ص 05.

قبل أن يصرخ تابسوس في وجهه برفض عبادة الأباطرة مما يدل على الموقف السلبي للمسيحيين ضد الإدارة الأمبريالية ويدل صراخ تابسوس في وجه الإمبراطور على درجة كبيرة من الإحتقان الّذي تميز به الجنود المسيحيين نتيجة تعرضهم لضغوطات تفرض عليهم التراجع عن قناعاتهم الدينية.

5- القديس فابيوس Fabus: كذلك من قدماء المحاربين في الجيش الروماني الذين أعلنوا انضمامهم للديانة المسيحية سنة 304م مما أدى إلى سجنه حتى الموت[1].

2- بداية الاظطهاد :

- **المرحلة الأولى (64 – 68 م)** عهد الإمبراطور نيرون إذ يعتبر اول من اضطهد المسيحيين وسمح لليهود بممارسة شعائرهم ,وحمل المسيحيين مسؤولية حريق روما 64 م و الّذي دام تسعة أيام، أذيقوا أنواع التعذيب و التنكيل إذ يذكر أنهم كانوا ينظرون إليهم جنس بشري من نوع خاص ويكنون الحقد للبشرية ,ويمكنهم ارتكاب أي جريمة ولم تكن إلا ذريعة لتنكيل بهم [2]ولم يكتفي بذلك بل البسهم جلود الحيوانات و تركهم للكلاب تلتهمهم و سمر عليهم الصلبان ودفن الكثير منهم احياء ,ودهن آخرون بالمواد الملتهبة و اشعلت النيران [3].
- **المرحلة الثانية (81 – 96 م)** عهد دومتيانيوس الّذي كان محب للسلطة عمل في عشر سنوات الأولى اصلاح البلاد لكنه سرعان ما تحول الى مضطهد للمسيحيين بعد ما رفضوا عبادة إلها ,وطلب منهم تقديم قرابين له فلما رفضوا اعدمهم سنة 93 م.
- **المرحلة الثالثة (98 – 117 م)** عهد تراجانوس وكا سابقيه امر جميع ولاته بمنع المجامع السرية و أقام ساحات الملعب "الكوليزيوم" للاعدام بالقائهم للوحوش الضارية [4].
- **المرحلة الرابعة (166 – 177 م)** عهد ماركوس اوريليوس مرحلة الرخاء و الاستقرار

[1] بوابة ASJP، أ بن عطا الله عبد الرحمان، ص 06

[2] الربيع عولمي، المرجع السابق، ص (275-276).

[3] الربيع عولمي، المرجع نفسه، ص (277 م).

[4] الربيع عولمي، المرجع نفسه، ص (283 م).

ما لبث حتى انتشر الوباء الطاعون القادم من الشرق في كافة انحاء الإمبراطورية وقد عبروا عنه المسيحيين بأنه نهاية العالم فجلبوا بذلك الكراهية لأنفسهم فتولدت لدى الوثنيين الرغبة في الانتقام منهم فجلدوا بالسياط ومزقت اجسامهم وربطوا على الاعمدة واحرقوا بالنار هكذا عملوا في هذا العهد .[1]

- **المرحلة الخامسة (199 – 204 م)** سيبتيموس سفيريوس كان وثنيا اصدر مرسوم بعدم اعتناق اليهودية او المسيحية كان اول نوع من أنواع الاضطهاد الذي للديانتين المسيحية واليهودية معا ورفضهم تقديم الذبائح لتماثيل الإمبراطور بذلك تعرضوا الى الحرق و قطع الرؤوس.
- **المرحلة السادسة (235 –238 م)** ماكسيميانوس كان اميا تولى العرش اثر ثورة على إلسكندرسيفيروس كان رجل عسكريا لم يحكم روما إلا ثلاث سنوات ولم تطأ قدمه روما بالرغم من ذلك إلا انه بلغ أشد الاضطهاد .
- **المرحلة السابعة (249 – 251 م)** عهد دكيوس اصدر مرسوم في جوان 250 م يحدد فيه مهلة يعين فيها من يقدم القرابين والذبائح للالهة الإمبراطورية انه وثنيا ومن يتأخر يعتبر مسيحيا ويتعرض للعقوبة والتنكيل وقد ارتد كثير من مسيحيين جراء هذا الأمر [2].
- **المرحلة الثامنة (253 – 263 م)** عهد فاليريانوس لم يهنأ المسيحيين بعد وفاة دكيوس بل خلفه غالوس الذي واصل الاضطهاد ما بين 251 – 253 م والتي عرفت فترته بانتشار الطاعون فأراد أن يهدأ الآلهة بتقديم أضاحي وإقامة الصلوات فامتنع البعض بذلك أعطى الأمر و الإذن لبداية الاضطهاد ,في حين تولى فاليريانوس الحكم أظهر بعض التسامح مع المسيحيين[3].

إلا أن هذا التسامح لم يدم طويلا بعد المشاكل التي واجهت الإمبراطورية اذ اصدر مرسوم اول بمنع مسيحيين من العبادة واضطهادهم لكن لم يجدي ثماره ليأتي مرسوم ثاني اشد قسوة

[1] الربيع عولمي، المرجع السابق، ص (290).

[2] الربيع عولمي، المرجع نفسه، ص (292).

[3] الربيع عولمي، المرجع نفسه، ص (293).

بالقتل لعدم استجابة للإمبراطور في كافة الإمبراطورية مثلا القديس سبريانوس الذي قطع رأسه في قرطاجة على يد البروقنصل غاليريوس ماكسيموس سنة 258 م[1], وبعد اعتلاء ابنه العرش 260م غالينوس أظهر التسامح الديني و أصدر مرسوم يوجب الاعتراف بالديانة المسيحية ووقف الاضطهاد ورد ما سلب منهم من ممتلكات وأقر حرية العبادة فيما حدثت اضطهادات في أربعين سنة الى غاية بداية القرن 03 للميلاد لكن سرعان ما حدث اضطهاد في عهد ديوكليتيانوس.

3- فترة الاضطهادات العنيفة :

- **المرحلة الأولى (284 – 305 م)** عهد ديوكليتيانوس من ابرز الأباطرة الرومان نتيجة الى الإصلاحات التي قدمها ووجد الإمبراطورية مترامية الأطراف من الصعب التحكم فيها فأجمع على توزيع السلطة إلى أربعة حكام ما عرف بالسلطة الرباعية tétrarchit*.

أما حالة الاضطهاد فأول الامر أظهر تسامح الديني حين توليه العرش ما إن لبث حتى انقلب على المسيحيين بالتنكيل وأنواع العذاب عندما رأى معظم الناس انصرفوا عن عبادة الامبراطور وخوفا عن الوحدة الإمبراطورية وقد أحيا الوثنية و أطلق على نفسه الآلهة "جوبتير" كبير آلهة الأرض[2], فتقرر القضاء على المسيحية بعدما توغلوا داخل الجيش الروماني وإلى الجهاز الإداري للدولة في حين يرى بعض المؤرخين ان شريكه في الحكم غاليريوس كان يكن كره شديد لهم وهو من أوعز إلى ديوكليتيانوس بالقضاء على المسيحية وحتى ترجع الإمبراطورية الى سابق عهدها .[3]

وفي 23-فيفيري-303 م أصدر ديوكليتيانوس قرار بتدمير جميع الكنائس وحرق الاناجيل وتحريم إقامة الصلاة في حين هذا القرار وصدوره شب حريق حتى بلغ غرفة نوم الإمبراطور فاتَّهم المسيحيين واعتقلوا وسجنوا وعذبوا حتى الموت[4].

---

[1] الربيع عولمي، المرجع نفسه، ص 294 .

* tétrarchit مصطلح يطلق على شكل من أشكال الحكم يتقاسم فيه السلطة أربعة أشخاص

[2] د. محمود محمّد الحويري , رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ,ط 3 , دار المعارف ,1995, ص 158.

[3] الربيع عولمي، المرجع السابق، ص 297.

[4] السيد احمد علي ناصري، تاريخ الإمبراطورية الرمانية السياسي والحضاري، ط 2، دار النهضة العربية، 1991 ص 352.

ليؤكد في صيف 303 م بمرسوم ثاني اعتقال كل القساوسة والكهنة وحملهم مسؤولية الإضطربات في الإمبراطورية وزج بهم السجون وفي بداية 304 م اصدر مرسوم ثالث اثر احتفالية عشرينية تواليه العرش بالعفو عن المسيحيين اذا ما قدموا قرابين والذين لم يلبوا ينفذ فيهم حكم بالاعدام[1].

استغل غاليريوس مرض وغياب الإمبراطور اصدر مرسوم الرابع يقضي في فيفري 304 م بتقديم القرابين غصبا ومن رفض هذا القرار يعرض صاحبه لأعمال شاقة في المناجم او الإعدام وكان تطبيق القرار في المغرب القديم أشد قسوة منها قطع الأيدي والأنوف وحرق الجثث وسكب الرصاص في أجزاء من الجسم .

و خلاصة القول أن فترة ديوكليتيانوس 303 -305م من أشد اضطهاد شهدته الكنيسة الإفريقية وقد ولدت هذه المعاملة العداء للسلطة الرومانية ولما حدث الانشقاق داخل الكنيسة الإفريقية في 312 م الى تيارين متصارعين وقفت السلطة مع الكنيسة الكاثوليكية من وهلة الأولى ضد الكنيسة المنشقة الدوناتية [2].

المرحلة الثانية (305 – 313 م) عهد غاليريوس وماكسيمينوس بمجرد اعتلاءه العرش استعمل جميع أنواع الاضطهاد و الأعمال الشاقة بالمناجم والصخور وقتل الأطفال والنساء والشيوخ الذين لم يقدموا القرابين سنة 308 م و واصلت شراسة الاضطهاد في عهد ماكسيمينوس و في سنة 311 م توقف الاضطهاد حينما أصيب غاليريوس بمرض أصدر مرسوم بالتسامح الديني وإعادة وبناء الكنيسة وإقامة الشعائر بشرط الدعاء في الصلوات للإمبراطور , وبعد وفاة غاليريوس 311م أعلن قسطنطين مرسوما في مدينة ميلان مبدأ التسامح الديني[3].

[1] السيد احمد علي ناصري، المرجع السابق، ص 353.

[2] الربيع عولمي، المرجع السابق، ص 300.

[3] الربيع عولمي، المرجع نفسه، ص 303.

4- نهاية الاضطهاد (311 – 392 م):

و كما ذكرنا سابقا أن نهاية الاضطهاد منذ اعتلاء الإمبراطور قسطنطين العرش تغيرت نظرته إلى مسيحيين ورغبته في اصلاح ما بقي وانشغاله بالمغرب القديم بحزمة من قرارات قد تطرقنا اليها في السابق (الفصل الأول في مساندة السلطة للمسيحيين) إضافة الى ذلك طلب من البروقنصل أنولينوس وكاهن إفريقيا بمساعدة ودعم كايكيليانوس ضد المنشقين ويعتبر تدخل قسطنطين في الصراع داخل الكنيسة تدخلا سياسيا واختياره للكنيسة الكاثولكية على خصومها المنشقين عنها منذ انعقاد مؤتمر المحتجين في قرطاجة 312 م ومما ساهم مجمع روما 313 م و آرل 314 م في تكريس الخلاف القائم بين الكاثوليك و الدوناتيين.

و دعا من خلاله تقديم تنازلات حفاظا على السلام والتحلي بالصبر للاستفزازات المنشقين [1] لكن الامر وصل الى تزايد جرأة المنشقين الى اضطهاد الكاثوليك في نوميديا فبادر في مراسلة رقم 11 و الأخيرة في سنة 330 م إلى حاكم نوميديا فالنتينوس وَعَدَ بامتيازات لرجال الدين و إعادة بناء كنيسة في قسنطينة تعويضا لهم بعد اعترافه بالعجز في مواجهة الانشقاق الكنيسة الإفريقية ,فلجأ المنشقون الأفارقة إلى المحكمة اثر قرار آرل 314 م تدينهم لكن ترددت في إصدار الحكم إلى كاهن إفريقيا اوميليوس الى سنة 316 م الّذي تضمن أن كايكيليانوس افتري عليه وأن انتخابه أسقفا كان شرعيا وهذا ما أقره اوغسطين في نص الرسالة المرسلة إلى أوميليوس وأنه بريء من كل التهم الموجهة ويؤدي واجبه اتجاه واجباته الدينية[2] لتبدأ مرحلة جديدة من الصراع محتدم بين السلطة والمسيحيين في القرن الأول للميلاد إلى تنصر السلطة الرومانية وتدخلها في شؤون المسيحيين وعدم استقلال الكنيسة عن السلطة أدى إلى صراع داخل الكنيسة وخاصة في الافريقية نفسها والانشقاق الكنائيسي[3].

[1] الربيع عولمي، المرجع السابق، ص 304.

[2] Eusèbe de Césarée, vie de Constantin, II, paris 1686. p-p 66- 69

[3] سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث، أطلس الأديان، الطبعة الثانية، رياض، ص 263.

5- مساندة السلطة الرومانية للكنيسة :

يعتبر عهد قسطنطين واعتلاءه العرش الامبراطورية الرومانية مرحلة جديدة للعلاقات التي جمعت بين السلطة و الكنيسة ,كتغيير موقف السلطة منها و إعلان قسطنطين الأكبر اعتناقه للمسيحية عام 312 م وبوقف عمليات الاضطهاد الديني و العمل على نصرتهم وبحركة التبشير المسيحي[1].

و قد اعتبر الكثير من الناس مبدأ التسامح الذي اتبعه هذا الامبراطور حلا إيجابيا. و قد اضطر غاليروس العدو اللّدود للمسيحيين الى القول حين أصيب بمرض عضال قبل وفاته في ربيع 311 م "عليهم أن يبادلوا حلمنا بالصلاة لأجل خلاصنا و لأجل الدولة و لأجل أنفسهم حتى تنعم الدولة بازدهار التام، و حتى يستطيعوا العيش في بلادهم بطمأنينة "، وسلم بنشر براءة إعتراف فيه صراحة بفشل الاضطهاد أعاد للمسيحيين حرية عبادتهم ولم تلغ هذه البراءة حتى بعده[2].

– ومن الدوافع الى إعلان الامبراطور قسطنطين تنصره هناك عدة آراء منها ذلك النصر الّذي أحرزه على منافسيه في حين يرى البعض المؤرخين العلمانيين رغبته في تغيير الأوضاع المضطربة وتخفيف من حدّة التوتر القائم ,و تفشي الديانة في أوساط الإمبراطورية والبحث عن حل يستعيد الإمبراطورية هيبتها وأكثر مما يؤكد هذا الرأي تلك القرارات التي أصدرها في حق هذه الأديان وأولها نص ميلانو* المتضمن دعوته لجميع الاسقفيات[3].

و مما جاء في مرسوم ميلان " l'edit de milan " هو قرار امبرطوري صدر سنة 311 م من قبل الإمبراطور قسطنطين باعتراف بالديانة المسيحية بصفة رسمية ونهاية الاضطهاد الّذي دام ثلاثة قرون[4] و هو المرسوم الذي ربط السياسة بالدِّين والذي غير كل الموازين وتأسيس عاصمة جديدة قسطنطنية انتقل إليها 330 م وبداية تأسيس الإمبراطورية البزنطية التي هي في الجزء الشرقي لأوروبا[5]

---

[1] مُحَمَّد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 279.

[2] أندري ايمار، تاريخ الحضارت العام، الجزء الثاني، ترجمة فريد داغر، بيروت، ص 562.

[3] أدري ايمار، المرجع السابق، ص 563.

[4] أدري ايمار , المرجع نفسه، ص 563.

[5] بن عطيا الله عبد الرحمان، المرجع السابق، ص50.

و أصدر كذلك قرارات تخص الكنائس وضرورة إصلاح واسترجاع ما تم اغتصابه و رسالة أخرى تتضمن وحدة الكنائيسي وذلك لما بلغه من أسقف قرطاجة سيسيليانوس cécilien[1].

بقيام لأعمال تؤدي إلى الانشقاق عن الكنيسة و هو ما جاء في المحتوى الرسالة وهو أن والي إفريقيا أنولينس أرسل عدة رسائل يوجه تهم لسيسيليانوس فقد ابدى الإمبراطور من المناسب حضور أسقف قرطاجة ومعه عشرة من الأساقفة الذين يتهمونه وعشرة آخرين يدافعون عنه والإسراع الى روما لمعرفة الحقيقة وفق الشريعة المقدسة[2].

و هناك جزء أخر من الرسائل من قسطنطين إلى سيسيليانوس يأمره بمنح في كل الأقطار إفريقيا ونوميديا وموريطانيا لخدمة الدِّين وتغطية نفقاتهم .

كما منح الإمبراطور السلطة القضائية ولهم الحق تمثيل أنفسهم دون اللجوء الى القضاء المدني وإعفاء رؤساء الكنائس من الوجبات السياسية[3]، فقد أعطت المصادر المسيحية يوسابيوس القيصري صورة تمجد فيها الامبرطور قسطنطين بالبطل الظافر و إبنه كريسبس بمحبوب الله والمماثل لأبيه[4].

و هذا لم يستثني للمقاطعات الأخرى وصور لمراسيم التي أرسلها الإمبراطور قسطنطين إلى كافة مقاطعات ومستعمرات الإمبراطورية كما ذكر يوسابيوس القيصري في كتابه ولكننا وما يهمنا المغرب القديم.

و قد ذكرنا فيما سبق مدح الإمبراطور قسطنطين من طرف يوسابيوس القيصري وقد منحه الله الانتصار على بيليسينوس وتطهير طريق من الظالمين[5].

–فيما يرى أريسيوس في تنصر قسطنطين هو دافع شفاءه من مرض الجذام برؤية في منامه لو أشفق على المسيحيين إنه سيشفى فبذلك بنى بزنطا و اتخذها موطنا ومسكنا له [1].

---

[1] بن عطيا الله عبد الرحمان، المرجع السابق، ص60.

[2] يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تر القمص المرفس داود، مكتبة المحبة، (بوابة التاريخ وحضارة المغرب pdf)، ص 496.

[3] يوسابيوس القيصري، المصدر نفسه ، ص 499.

[4] يوسابيوس القيصري، المصدر نفسه، ص 504.

[5] يوسابيوس القيصر، المصدر نفسه، ص 505.

ما نستخلصه من كل هذا هو الحرية الدينية التي تمتع بها المسيحيين بعد اعتلاء قسطنطين عرش روما بعد قرون من الاضطهاد و بذلك بنيت الكنائس كثيرة وخاصة في افريقيا و نوميديا و موريطانيا و الّتي أصبحت حليفة الامبراطور فاستطاع تحقيق ما عجز عنه الأباطرة السابقوون من تحقيقه بقوة السلاح[2].

استمر قسطنطين بالحفاظ على الديانات الأخرى السائدة في مختلف أنحاء الإمبراطورية وخاصة أنه كان يستفيد من خدمات عدد من الوثنيين الأثرياء لصالح السلطة ما يزيد في قوة الحاجة وقد أمر بتطبيق قرارات ميلان بإعادة ممتلكات الكنيسة لأصحابها و تعويضهم ما فقدوه من ممتلكات وتمويل الكنيسة لمباشرة أعمالها الخيرية و سمح لرجال الدِّين بانخراط في مجالس البلدية هذا الامتياز أدى الى اعتناق الوثنيين للمسيحية للاستفادة من هذه الامتيازات [3].

ومن بين الامتيازات التي منحتها السلطة للمسيحيين دون سواهم عطلة يوم الأحد وحق الشرعية في العتق الذي يتم على رجال الدين وممارسة السلطة القضائية على أعضاء إكليروسهم من دون قاضي مدني (قاضي البلدة) بهذه قويت الكنيسة سياسيا وارتفع رصيدها الاقتصادي وتشكلت طبقة اجتماعية مرموقة من رجال الدين التي أصبحت بدورها تضطهد العناصر الوثنية ومختلف النحل الأخرى ومنها برزت بوادر انحراف الكنيسة عن مبادئها الإنسانية وبالتالي فقدت لمعانها وقيمتها المعنوية وخاصة عند الطبقة المحرومة التي أصبحت وقودا لنيران الاضطهاد لطالما عارضت بالتضحيات من أجل ترسيخ مبادئ المسيحية .[4]

وإذا كانت غالبية رجال الدين رضيت بهذه الوضعية فإن هناك أقلية رفضت ذلك التحول والمنقلب الّذي عرفته الكنيسة , بعد ان تخلت على مبادئها وتحالفت مع السلطة , وهذا ما أدى الى ظهور الانشقاق الديني والانقسام المسيحيين في شمال إفريقيا إلى مواليين ومعارضين الأول مؤيد لسلطة

---

[1] أوروسيوس، تاريخ العالم، تر عبد الرحمان بدوري، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت وطبعة 1982، ص 459.

[2] مُحَمَّد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 280.

[3] Edward gibbon. Opcid. P-p. 533-554.

[4] مُحَمَّد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 283-282.

تمثله الكنيسة الكاثوليكية والثاني مناهض للنظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي التي تزعمته العناصر المنشقة عن الكنيسة والذي عرف في تاريخ الكنيسة بالحركة الدوناتية[1] والتي نحن بصدد ذكر هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل اخر.

كما أشار بعض المؤرخين منذ 64 م الى 313 م أن المسيحيين تعرضوا الى عشرة اضطهادات ,هذا ما يبين أن الاضطهاد دام 250 مائتين وخمسون عام التي تعاقب عليها عدة أباطرة والتي سبق وان ذكرنا عشرة مراحل من الاباطرة تعاقبت عليها ازمنة مختلفة ونحن بصدد تقسيمها الى ثلاث فترات من الاضطهادات.

و كل هذه الاضطهادات حدثت بموجب تشريع صدر عن الإمبراطور نيرون " néron " سنة 64 م والذي ينص بمنع اعتناق المسيحية والذي مس جميع المسيحيين دون استثناء[2].

[1] Ernest mercier. L'Afrique septemtrionale. Tome 1 Ernest Leroux, Paris 1888 p-p 130-131.

[2] ربيع عولمي، المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في احداث القرن الرابع والخامس للميلاد، أطروحة الدكتورة تحت اشراف طاهر ذراع، جزء 1، جامعة باتنة 1، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الاثار، سنة 2016/2015، ص 273.

الفصل الرابع

الكنيسة الإفريقية و بداية الانشقاق

(الحركة الدوناتية)

i. الكنيسة الافريقية وبداية الانشقاق :

1- نشأة الكنيسة الافريقية:

عرف شمال إفريقيا تغيرات إدارية منذ خضوعه إلى الاحتلال الروماني استحداث وتقسيم إفريقية إلى مقاطعات أربعة إفريقيا القديمة (قرطاجة) و إفريقيا الجديدة (نوميديا) و موريطانية القيصرية وموريطانية الطنجية هذا في بداية القرن الأول للميلاد اما في نهاية القرن الثالث للميلاد تم تقسيمها إلى سبع ولايات افريقية .

- **بروقنصلية .....(قرطاجة)**
- **بيزاكينا .....حضر موت (سوسا حاليا)**
- **الطرابلسية ..... (ليتيس –ماغنا)**
- **نوميديا ..... (سيرتا)**
- **موريطانيا السطايفية ...(سطيف)**
- **موريطانيا القيصرية ...(شرشال)**
- **موريطانيا الطنجية ... (طنجة).**[1]

أما لنشأة الكنيسة في شمال إفريقيا ظهرت في قرطاجة ويرى مُحَمَّد البشير شنيتي تم على يد مبعوثين من كنيسة روما لأجل تنظيم المجامع المسيحيين وتعليم العقيدة ,مع وجود معطيات أن مدن بروقنصلية ونوميديا اعتنقو ا المسيحية في نهاية القرن الثاني للميلاد و تم انشاء كنائس أخرى في المنطقة الإفريقية أهمها كنيسة سيتفيس وكنيسة لامبيسيس (تازولت حاليا باتنا) وكنيسة مادور (مداوروش) بالجزائر وكنيسة أثما وكنيسة تبربرمنيس وكنيسة تيسدوروس(الجم حاليا) تونس أما في ليبيا تأسست كنيسة ليبتيس ماغنا هذا في المدن الكبرى اما في المدن الصغرى تقام التجمعات في المنازل

[1] مُحَمَّد مبكر , شمال إفريقيا القديم حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية 305 م 429 م , الدار البيضاء , مطبعة النجاح الجديدة ط1, 2001, ص 22

والغابات . وكما أن للكنيسة قرطاجة مكانة لما فيها من شواهد مادية لما تحتله في الموقع الجغرافي والمدخل الوحيد لإفريقيا ومدينة حضاريا وحاضرة من حواضر الإسكندرية وغيرها والتواصل الحضاري في المجتمع والفكر ورواج التجارة القرطاجية ووجود اليهود مما ساعد الاتصال بين الديانتين على أساس أن اليهود السابقين في معرفة وحدانية الألوهية ,وما وجد على مقبرة بضاحية غمارت شمال قرطاجة مهدا لهذا الاتصال.

وما قدمته كنيسة قرطاجة من شهداء منهم بربيتي فليسيتي سنة 202م والقديس كابريانوس الّذي توفي سنة 258م, ولم تقتصر تضحيات بالشهداء بل بالقلم والفكر والمكانة العلمية ودور المدارس القرطاجية الّتي من خلالها تأسست المجامع والفكر المسيحي .[1]

وظلت الكنيسة القرطاجية مركزا أساسيا في عقد مجامع المسيحيين تترأسها أساقفتهم مثل مجمع هيبون 393 م الّذي ترأسه أسقف أورليوس بوجود اغسطين على رأس أسقفية بونا (عنابة) رغم تفوقه وأعماله ومؤلفاته العديدة إلا أن شهرة قرطاجة تفوقت على هيبون .[2]

وكما يتمتع بعدة امتيازات منها الانتخابات الأسقفية والتكلم بالنيابة على رجال الدين في إفريقيا ويستشار من طرف أساقفة بلاد الغال و إسبانيا اعتراف روحي وعرف اعتمد عليه قبل المسيحية اثناء مستوطنات الفينقية في غرب البحر الأبيض المتوسط .[3]

كل هذه العوامل ساهمت في أن تكون كنيسة قرطاج هي الكنيسة الرسمية وتمثل كل الكنائس الإفريقية أمام كنيسة الأم (روما) [1], أحيانا تنفجر خلافات مما يستدعي الأمر إلى استدعاء وفود

---

[1] بن عطيا الله عبدالرحمان ,المرجع نفسه ,ص 74-76..

[2] Charles Joseph Hefele , Histoire des conciles , d'apres les documents origInaux, Paris, Letouzey
Etane,1908,T 2,p, 82

[3] حميدة شنشن , رجال الدين في بلدان المغرب القديم من ظهور المسيحية في نهاية القرن الثاني للميلاد إلى غاية السلام المسيحي 313 م من خلال ترتوليانوس وكيبرايانوس , مذكرة ماجستر ,جامعة الجزائر , 2009 , ص 72.

لمواجهة الانشقاقات والبدع في الكنائس الأخرى ,ولعل اهم الخلافات تلك بين قرطاج وروما في قضية التعميد (255 – 257 م) عندما رفض اسقف قرطاج كبريان رفضا قاطعا من إعادة الهراطقة إلى الكنيسة .[2]

2- التقسيم الكنسي في إفريقيا:

إن التنظيم الإداري وهيكلته لإفريقيا الرومانية تمت خلال الفترة مابين (288-331 م) تقسيمها إلى سبعة ولايات جديدة والّتي تطابق جغرافيا بين إفريقيا المسيحية و إفريقيا الرومانية

أي أن إفريقيا الرومانية وهي الولايات الرومانية الشمالية لإفريقيا الّتي يحدها خط الليمس بتحصناته ومراكز مراقبته العسكرية والخاضعة للسيطرة الرومانية .[3]

أما إفريقيا المسيحية هي بداية انتشار المسيحية في المغرب القديم ومدى تواجدها وهي فترة بعد الاضطهاد وبداية تنصر السلطة الرومانية والّتي كما قلنا تنظيم الكنسي إلى سبع ولايات وهي كالتالي :

أ- البروقنصلية :

(afriqua proconsularis) وعاصمتها قرطاجة بتونس حاليا هي أقدم الولايات الإفريقية اثر إصلاحات ديوكليتيانوس اقتطعت منها ولايات جديدتان بيزاكينا والطرابلسية ,وأصبحت محصورة في الشمال الشرقي لتونس حاليا و أضيفت إليها أجزاء من نوميديا من الغرب , أما كنسيا فإن حدودها بقيت على حالها مطابقا للحدود الحالية بين تونس والجزائر وتعتبر الولاية البروقصلية أكثر الولايات تنصيرا.

---

[1] مُحَمَّد البشير شنيتي , المرجع السابق ,ص 322.

[2] يوسابيوس القيصري , المرجع السابق , ص 347.

[3] مُحَمَّد مبكر , المرجع السابق , ص 111.

ب –بزايكينا :

المزاق وعاصمتها هادروميتوم (حضر موت) السوسة حاليا تمتد جنوب البروقنصلية , تأسست في عهد (الحكم الثنائي) ديوكليتيانوس وماكسيميانوس (285-305م أما الكنيسة لم يرد ذكرها إلا في مجمع قرطاج 348 م .

ج- **نوميديا :**

من أقدم الولايات الإفريقية بعد البروقنصلية عرفت تقسيم إلى ولايتين نوميديا القنصلية ونوميديا العسكرية , لكنها سرعان ما رجعت الوحدة وأصبحت قرطة كنسطنتينا عاصمتها نهائيا ,أما الكنسية هي تمتد إلى كامل المجال النوميدية القديمة وقد وردت ولاية النوميدية في مجمع قرطة سنة 305 م وأول الأسقف tigisis عين البرج حاليا والّتي كانت إداريا تابعة إلى بروقنصلية ,لكنها تتمتع بنوع من الاستقلالية والشخصية الإقليمية والمنافسة لبروقنصلية والّتي تتضح في الحركات الانشقاق الّتي ظهرت في الولاية (الانشقاق الدوناتي)

د– موريطانية السطيفية :

تكونت ولاية السطيفية المدنية بجزئها الشرقي من موريطانيا القيصرية (شرشال –الجزائر) وعاصمتها سيتيفيس (سطيف حاليا) وذكرت في مجمع هيبو ريجيوس(عنابة) سنة 393 م [1]

هـ – موريطانيا القيصرية :

عاصمتها قيصرية (شارشال –الجزائر) ثالث اقدم الولايات الإفريقية بعد البروقنصلية ونوميديا لم ترقى إلى ولاية كنسية مستقلة الا في القرن الخامس للميلاد ولم تكن حاضرة في المجامع الكنسية المنعقدة بقرطاج ,يرجع ذلك منهم من قال بعد المسافة ومنهم من قال عوامل أخرى تقاعس

[1] المرجع السابق , ص 205 .

الأساقفة من حضور مناظرة قرطاج ,و آخرون شعور الأساقفة الموريطانيا بالاستقلالية عن الأفارقة و النوميديين .

و – الطرابلسية :

تم انشاء ولاية الطرابلسية المدنية في عهد ديوكليتيانوس وماكسيميانوس (294-298م) أما الكنسية لم يذكر في مجمع اريلاس سنة 314م وذكرت في مجمع كابرسوسا الماكسيمياني سنة 393م ويرجح تكوين الكنسي ما بين 314-393م .[1]

ظهور الانقسام :

قضية المنشقين أو المرتدين هي أول نقطة بداية الخلاف في فترة حكم ديوكليتيانوس وأنواع الاضطهادات الّتي مست معتنقي المسيحية ,و طائلة الترهيب والتعذيب أدت إلى ارتداد عدد كبير من المؤمنين ,بذلك انقسمت الكنيسة الإفريقية إلى كنيسة موالية إلى الإمبراطور والإمبراطورية كاثوليك وكنيسة موالية للمنشقين الّذين رفضو الولاء الّتي سماها خصومها بالدوناتية ,ومن بين القطرة الّتي افاضت تسيلم الكتب المقدسة للسلطة ,إذ حدث أن أسقف قرطاج منسورييوس الموالي للسلطة وسياسة الرومانية سلم كتب مقدسة للوثنيين كونهم يمثلون الإمبراطورية الرومانية وكذا عبادة الإمبراطور كما سبقنا الذكر, لذلك هوجم من طرف الأهالي قرطاجة المسيحيين تدنيسا وخيانة كبرى ,وتطورت الخلافات لحد القتل للاتصال مع الخونة و وحرمان من الكنيسة المسيحية دون المرور بهم ,بعد ما ذكر في مجمع سيرتا في مارس 305م الّذي من خلاله تم الرفض الإجراءات المتخذة في مجمع قرطاج والّذي يعتبر أول موقف للمنشقين الدوناتيين وهذا ما اعتبره اغسطين بداية الحركة الدوناتية الّتي كسبت تأييدا من قبل المسيحيين النومديين , هذا الموقف من الدوناتيين وصفوا تلك الإجراءات بمثابة ميثاق الشهداء ,لقى تجاوبا كبيرا وخاصة من المسيحيين النومديين ومنها أخذت طابعها الاجتماعي ,كونها

[1] مُحَّد مبكر, المرجع السابق ,ص-ص (205-206)

شكلت حركة مضادة وفعلية بعد وفاة منيوريوس وتعيين كايكيليتيانوس الّذي لم يعترف بتعينيه وطلب منه التنحي فنظم المنشقين انفسهم واعتبروا دوتانوس زعيما له و أسقفا , الّتي كانت أول خطوة نحو تشكيل كنيسة موازيا للكنيسة الرسمية ,ومصرة على الوقوف ومقاومة السلطة الرومانية مهما كان الثمن.[1]

وحتى الخلاف الدائر حول الكنيسة الدوناتية وكاتوليك لم يكن دينيا لاهوتيا,بل يتطابق ايمان الدوناتيين وايمان الكاثوليك لكنه انشقاق لا اكثر ,ولا حتى هرطقة بل كان يريدون إقامة كنيسة مستقلة تكرس تعاليم المسيحية الحقيقية الّتي تدعوا إلى التسامح والعدل .[2]

3- ظهور الانشقاق (الانقسام والصراع بين الكنيستين الكاثوليكية و الدوناتية) :

مابين القرن الثاني والثالث عرف شرق نوميديا اضطرابات عديدة بين سكان المحليين والرومان كاحتلال ,وظلت أوضاع بين المد والجزر حتى القرن الثالث والقرن الرابع للميلاد ظهر هنالك وازع قوي وجديد على المنطقة بعدما عرفت بثورات للتحرر وهو الديانة النومدية المتمثلة في الكنيسة الكاثولكية في مدينة قرطاجة والدوناتية في بغاي (baghai) منطقة بالقرب من مدينة خنشلة حاليا ,وذلك بعد الخلاف والانشقاق الّذي حدث في الكنيسة وكما سبق الذكر,والّتي كانت الإمبراطورية الرومانية تعتبر الدوناتيين حركة متطرفة مقارنة بالكاثوليك الّذين يتجاوبون مع الأباطرة وتلبية رغباتهم على حساب المسيحية وعلى حساب المسيح نفسه عليه السلام هذا ما تناوله القديس تريليانوس بالمنهج المرونة خلال القرن الثاني للميلاد حيث قال " هناك أوليات تفرض علينا أن ندعوا للأباطرة , ونرجوا لهم التوفيق في حماية الوحدة و الانسجام داخل الإمبراطورية من أجل السيادة الرومانية " .

مما أدى إلى التخلي على المبادئ العلية للمسيحية ما أدى إلى تعرض للأحداث في هذه الفترة وسقوط شهداء مسيحيين دوناتيين بأعداد كثيرة هدفهم دفاعا عن مبادئهم [1]

[1] د عقون محمّد العربي , الاقتصاد والمجتمع في شمال الافريقي, دينوان النطبوعات الجامعية , بن عكنون الجزائر , 2008, ص 288.

[2] نفس المرجع ,ص 289.

وقد رد القديس الدوناتي بيتليانوس (pétilianus) اسقف سيرتا 305 م على أتباع الكنيسة الكاثولكية الرسمية بنص من الإنجيل جاء فيه أن الكتاب المقدس يذكر في نصوصه " **لا تقتل أخاك وأنتم قتلتمونا ,لا تأخذ متاع غيرك وأنتم نهبتم أموالنا ومتاعنا واعتبرتمونا ملك لهم** " وفي نفس السياق ذكر أسقف تيمقاد غودنيتوس الّذي كان معاصرا للقديس اغسطين " **أفضل أن أحرق في مدينتي كمسيحي , على أن أسلم نفسي للقائد العسكري الّذي كان مكلفا من قبل الإمبراطور الروماني** ".

وبوصول قسطنطين إلى الحكم 312م كما سبق الذكر واعتناقه للمسيحية تعامل بالليونة مع المسيحيين الدوناتيين الهدف منه هو حفاظا على مكانته وحفاظا على الإمبراطورية لكن لدى النوميديين الامر مختلف لاسيما سكان الأرياف والسفوح الجبلية ومنطقة الشرق النوميدي خاصة نجدهم يربطون سياسة الامبراطور والإجراءات الجديدة واعتناق المسيحية ما هي إلا السعي إلى افتكاك المزيد من الأراضي وفرض الهيمنة وبسط نفوذهم على حساب غالبية السكان المحليين وتسخيرهم لخدمة الإمبراطورية الرومانية .[2]

وبالرغم من كل هذا قضية المنشقين بمعنى أدق الدوناتية تجربة جديدة على المغرب القديم إلا أنهم ساروا مع هذا الّتيار لعل ما يحفظ لهم كرامتهم وزاد تمسكهم بالكنيسة (الدوناتية) إزاء الكنيسة الكاثولكية الّتي اعتبروها كنيسة الشياطين (l'eglise des diables)وان كنيستهم هي كنيسة الأطهار القديسيين (l'eglise des sians) ومن يريد الانضمام لا بُدَ له من أن يطهر أي التعميد ليعاد إدخاله هذا ما أعاد الاضطهاد وهذه المرة مسيحيين مع مسيحيين آخريين . [3]

---

[1] جمال المسرحي , أوضاع الشرق الجزائري القديم من زوال المملكة النوميدية حتى غزوات الوندال ,أطروحة مذكرة ,جامعة باتنة-1- , سنة الجامعية 2018/2017 , ص 284.

[2] جمال المسرحي , ص 285.

[3] مُحَمَّد البشير شنيتي , أضواء على تاريخ الجزائر القديم , بحوث ودراسات , دار الحكمة , الجزائر ,2003, ص 181.

لهذا التجأت الكنيسة الكاثوليكية في إفريقيا إلى استشارة كنائس في روما في إعطاء مخرج إلا أن سقوط ضحايا من المسيحيين الكاثوليك نتيجة الصراع أدى في آخر المطاف إلى قرارات منها دخول في مفاوضات ونقاشات مع المنشقين الدوناتيين لعلها تضمد جراح وتخمد أوضاع السائدة والّتي باءت بالفشل ,فبادرت بمحاولة عملية الاغتيال اتباع الكنيسة الدوناتية بموجب تحالف الكنيسة الكاثوليكية بالسلطة .

وبالرغم من كل هذه المحاولات إلا انها فشلت في وضع حد للحركة المنشقين ,بل ازداد حدة بين طرفين منذ تولي القديس اغسطين السلطة الدينية بمدينة هيبون سنة 392م وكان من أهم المجامع الّتي انعقدت في قرطاجة 13 سبتمبر 401م الّذي تم من خلاله رفض قراراته من طرف الدوناتيين .[1]

4- أسباب الانشقاق الكنيسة:

كل الأسباب والدوافع الانشقاق الكنيسة في افريقية منها دينيا وسياسيا واجتماعية واقتصادية وأسباب ذاتيا شكلت مناخ ملائم لهذا الخلاف والصراع الدينى.

أ- الأسباب الدينية :

التطورات الّتي عرفتها الكنيسة الإفريقية خلال الفترة(305-312 م) وانعقاد مجمع سيرتا حمل في طياته جذور وبداية الانشقاق الديني الّتي تعود إلى الاضطهاد الديني لديوكليتيانوس للمسيحيين (303-305 م) وأحداث قرية أبيتينا ببروقنصلية سنة 304م الّتي أثارت المسيحيين بالثأر من المرتدين , الّتي تسببت في ظهور عناصر مرتدة عن المسيحية بسبب ضعفها اثناء الاضطهاد وتسليمها الكتب المقدسة ,الامر الّذي دعا إلى اختلاف رجال الدين من قبول او رفض المرتدين إلى صفوف الكنيسة مما سبب من تأسيس كنيسة تضم صمدت اثناء الاضطهاد والّتي سميت بالكنيسة الدوناتية ,زِدْ إلى

[1] جمال المسرحي, المرجع السابق ,ص 283.

ذلك سوء تنظيم الكنيسة الإفريقيا، حيث أن من قورينايا غربا إلى موريطانية الطنجية كانت خاضعة لأسقف قرطاجة مباشرة .[1]

تنامت الأحقاد والضغائن بين الأساقفة وظهر تحديهم لقرطاجة ليس المساس بجوهر العقيدة المسيحية بل انشقاق محلى تركز في المغرب القديم ونوميديا بشكل خاص, ليظهر فيما بعد ان المنشقين ليسو مبتدعة (هراطقة)* على لسان اسقف الدوناتي كريسكونيوس (cresconiosius)* ولا يختلفون مذهبيا مع الكاثوليك حيث عبر عن البدعة "الهراطقة (heresie) أو بدعة الطائفة تتكون من عدة أفراد مذهبهم مختلف عن غيرهم , أما الانشقاق فهو عبارة عن قطيعة بين عدد من الأفراد لهم نفس المذهب " ليعطي أغسطين تعريفا " **إن الانشقاق قطيعة حديثة العهد بالكنيسة ,بسب بعض الاختلافات في الآراء ووجهات النظر ,لأنه لا يمكن أن يكون الانشقاق إذا لم يكن للذين يتبنونه آراء مختلفة ,أما البدعة فهي انشقاق متمكن ومتأصل** " ,فيما بعد وصفت بالبدعة والهرطقة وتم حظرها وعوملت على هذا الأساس .ومن الأسباب كذلك التنافس بين أساقفة النوميديين و أسقف قرطاجة انتخاب كاييليانوس في 311 م بعد وفاة مونسوريوس في ظل غياب النوميديين مما سبب حفيظة واستياء لديهم في عدم استشارهم في اختيار الزعيم الكنيسة الإفريقيا ما أورده أوبطا الميلي *.[2]

---

[1] Monceaux (P.), *Histoire Littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines Jusqu'a l'invasion arabe, Ernest Leroux, Paris, 7 tomes19011923.p85,.*

[2] الربيع عولمي ,المرجع السابق , ص-ص (347-349).

*الهراطقة : "تأكيد رأي ديني يتعارض مع التعاليم الكنسية المقبولة". تعريف آخر هو: "عدم الإتفاق أو الإنحراف عن نظرية أو ممارسة أو رأي سائد." وهذه نقطة بداية جيدة بالنسبة لنا. فهذه التعريفات تحدد وجود عنصرين مهمين: رأي سائد ورأي معارض له. وبالنسبة للدين، فإن أي معتقد أو ممارسة تتعارض مع الرأي الرسمي للكنيسة يعتبر هرطقة.

ب- أسباب سياسية :

لعل من الأسباب السياسية هو تدخل السلطة الرومانية في شؤون الكنيسة بصفة عامة والكنيسة الإفريقيا خاصة واعتلاء قسطنطين العرش وانحيازه إلى كاكيليانوس الّذي بدوره اتخذ عدة إجراءات تدين فيه الانشقاق وصدور احكام بداية من القرن الرابع للميلاد 317 م منها نفي ومصادرة الكنائس والقمع مما فسر لدى المنشقين على انها اضطهاد من نوع جديد أدت إلى ادانتهم في نهاية الأمر (مجمع قرطاجة)سنة 411 م[1],لتأتي رد فعل من طرف دوناتوس *يدعوا أنصاره إلى مقاومة الحكم الامبراطوري ما بين (318- 319 م) قائل "**إذا كان لا جدوى اثبات تاريخ الاضطهادات الجلية , وإعطاء قراءة لأعياد الميلاد على شرف الشهداء من أجل بناء المؤمنين, فلماذا لا يقرأ تاريخ الاحتيالات الماكرة وتاريخ المحتلين و الكذابين الّذين تحت الدين, يخادعون الأرواح,وكما يقال أن أعداء الانسان يوجدون عقر داره,وليس من الدّين ولا التقوى أن نكتم أو نخص مجد الشهداء عن طريق الصمت او الحقد** "[2]

ليبين هذا الخطاب حجم الاضطهاد وسقوط شهداء وتمجيدهم كالّتي وجدت في كنيسة مسيدفة قرب قرطاجة شواهد ونقوش تحمل أسماء شهداء تيتيليانوس نومينوم وحفريات تحمل اسم القديسة بربوتيا (st.perpetue) وشهداء تيبوربو و قوائم تحمل خمسة عشر وعشرون شهداء من دوناتين قتلوا سنة 317م ,اظافة إلى الرسائل القذف من المنشقين الموجهة للكاثوليك الّتي أدانتهم سنة 319 م و بحث عن أصحاب هاته الرسائل ومعاقبتهم .

---

* أوبطا الميلي : **وبطا الميلي**Optat de Mileveلا نعرف تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته بالّ ضبط عاش حوالي ما بين 320م و392م،كتب مؤلّفه في أواخر سنة 366م،كاثوليكي، دخل في المساجلة الفقهية مع الّدوناتيين، عنوانكتابه De Shismate donatistarum: آخر إصدار للكتاب بتحقيق ميراي لابروس بعنوا

[1] Brisson (J. P.), Autonomisme et Christianisme dans l'Afrique Romaine Paris, de Boccard, 1958 .p-p (310-311)

[2] Monceaux (P).op cid.p 212.

مرت سنوات من الاضطهاد والعنف من دون نتيجة انتصار طرف على الاخر بعد مرسوم التسامح الّذي أصدره قسطنطين5 ماي سنة 321 م ويعطي حق للمنشقين للعبادة ووضع حد للمطاردة [1].

لعل انحياز قسطنطين إلى كاكيليانوس زعيم الكاثوليك ضد دتانوس زعيم المنشقين لتحقيق أهدافه من بينها وحدة والشرعية في المغرب القديم وامتصاص غضب السكان من التواجد الروماني ,الامر الّذي أدى إلى قيام ثورة في صفوف المعمدين بعد سلسلة من الاضطهادات لشدة بؤس الفلاحين واستغلال ثرواتهم الّتي لم تكن أي صلة أول الأمر مع المنشقين (الدوناتيين) ,لكن حدث التئام لأن العداء مشترك [2]

سياسة قسطنطين الدينية يتبين في مرسومين الأول سنة 326 م في اول من سبتمر يعطي امتيازات للكاثوليك دون غيرهم من المنشقين والثاني سنة 330 م في 5 فيفري يأمر فيها قنصل نوميديا فالنتينوس إعطاء حصانة كاملة لرجال الدين الكاثوليك ,مما زاد في حدة الانشقاق وسقوط عدد من ضحايا ,وجدت في معبد في موريطانيا القيصرية نقش حجر كلسي شيد من طرف أولياء الضحايا وفيه أسماء من الشهداء 21 أكتوبر 329 م .[3]

روقاتوس (rogatus), ماينتوس (maientus), ناسوس (nasseus), ماكسيما (maxima) , وفي 1 من نوفمبر من نفس سنة وجد اسمين وهما بناجيوس(bennagius)و سكستوس (sextus).

وكل محاولات قسطنطين للقضاء على المنشقين باءت بالفشل ,وكم الهائل من الوثائق الرسمية الّتي وصلت إلى 30رسالة سنة 330م تخص القرارات حكام المغرب القديم وجذور الانشقاق.[4]

[1] الربيع عولمي , المرجع السابق , ص-ص (351-354)

[2] الربيع عولمي , المرجع نفسه ,ص 355

[3] -Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p. 199

[4] Monceaux (P.) Ibid., IV, p. 47*3*

زد إلى هذا بعث أساقفة شرقيين الّذين كانوا يجهلون بحقيقة الصراع الدائر بين الكاثوليك المنشقين (الدوناتيون) لتبرير الأحداث الجارية بالمنطقة ,وبالرغم من كل المحاولات للقضاء على الحركة الا ان زاد عدد الأساقفة 270 أسقفا سنة 336 م بعدما كان 70 اسقفا سنة 312 م.[1]

ج- الأسباب الاقتصادية والاجتماعية :

لعل من أهم الأسباب هذا الانشقاق أسباب اقتصادية واجتماعية تلاحقت على سكان المغرب القديم من حالة المجتمع الّتي كانت سائدة أثناء الاحتلال الروماني في القرن الرابع والخامس للميلاد وحالة الأرياف واستغلال أراضيهم والنظام الملكية الّذي كان المحرك الرئيسي للاضطربات , لنعرج على هذا النظام الملكية وكيف تم استغلال الأراضي ؟

- **نظام ملكية الأرض:**

عرف نهاية القرن الثالث للميلاد إصلاحات الّتي قام بها الامبراطور ديوكليتيانوس (284 – 305 م) ثم قسطنطين (305 – 337 م) والّتي سار على نهجها الأباطرة من بعد في إعادة النظر في وإدارة الجيش ونظام الضرائب وتقوية السلطة المركزية في مختلف مقاطعات والأقاليم لزيادة موارد الإمبراطورية عن طريقة الضرائب .[2]

[1] Mesnage (J.P.), L'Afrique chrétienne, Évêchés et ruines antiquesd'après les manuscrits de Mgr.Toulote et les découvertes Archéologiques les plus récentes, Paris, Ernest Leroux, 1912.,141.

[2] *الربيع العولمي , المرجع السابق ,ص358*

لكن كل هذه الإصلاحات نجمت عن نتائج سلبية بعدما الحقوا الضرر بالملاك الأراضي أعضاء المجلس الشيوخ والفرسان والبرجوازيين بامتيازات متفاوتة ,ظهرت طبقة من الأغنياء لها نفوذ سياسي امتلكت عقارات و أراضي.[1]

وكما رأى الأستقراطيين (كوريالين , curiales ضابط يقود عشرة فرسان اوعضو مجلس بلدي curia المكون من 100 عضو) الضرائب الّتي كانت تقع علة السكان القيت على عاتقهم , فلجؤو إلى ارغام السكان لتسديد الضرائب مرتين في سنة ,صدر خلاله قانون 412 م يجرم هذا الغش بفرض غرامات مالية او الحكم بالموت , ظل الكوريالين يعتمدون على الثروة العقارية وتصدير منتجاتهم الزيتون والحبوب .[2]

- **الأراضي الإمبراطورية :**

أما بالنسبة للملكيات في المغرب القديم أما للإمبراطور او من الكبار النبلاء و يمتلكون ضيعات شاسعة من الإقليم ,يديرونها بالأمناء او يستأجرونها على حسب الاستغلال , والإمبراطور من أكبر مالكي منهم الإمبراطور نيرون (54-68م) لديه اكبر مساحة في المغرب القديم ,فيما ذكر انه قتل ستة ملاك من مجلس الشيوخ كانوا يملكون نصف الأراضي الإقليم وصادر ممتلكاتهم .

فكانت إفريقيا الممون الوحيد للإمبراطورية الرومانية وخاصة في القرن الرابع للميلاد بعدما أصبحت مصر تمول العاصمة الجديدة القسطنطينية .

- **أراضي السكان والكنيسة :**

[1] لريستوفتزف , تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي ,تر زكي على و مُحَمَّد سليم سالم , مكتبة النهضة المصرية ,ج1 , ص635 .

[2] الربيع العولي , المرجع السابق , ص-ص (-360-359.)

هناك أراضي متوسطة وصغيرة ملاكها من السكان الأصليين والعشائر معظمها أراضي قاحلة ووعرة و السهوب وجبال والصحاري ,بالمقابل امتلكت الكنيسة المسيحية كذلك أراضي بفضل الأغنياء والمؤمنين كهبات ,اعترفت بها الإمبراطورية بحقوق هذه الممتلكات بل هبات من الإمبراطور قسطنطين نفسه سنة330م حين قيامه ببناء كنيسة في سيرتا وحتى الامبراطور قنسطانس 347م بعث هبات للكنيستين الدوناتية والكاثولكية وتوزيعها على الفقراء , حيث تمكنت من اعفاء رجال الدين من الضريبة الفردية (ضريبة الرأس capitaio)دون اعفاء الكنيسة من ذلك خوفا من ثراءها ونفوذها .[1]

- **إستغلال الأراضي :**

استغلال الأراضي كان يخضع لنظام هرمي في القمة الإمبراطور صاحب الأرض وفي الأسفل المزارعين وهناك في الوسطاء الّذين يشرفون على أمور الإمبراطورية في إفريقيا (procuratores) مقرهم قرطاجة ووضع لهم قانون عرف بـ" ماكيانا " وهو يعطي بعض الحقوق وعليهم واجبات اما مصطلح ماكيانا فلم يحدد من أين اشتق لعله اسم الإمبراطور الّذي سن المرسوم ,يعطي المزارعون للمالك العقار نسبة من الإنتاج او المحصول[2].ولما تولى ادريانوس العرش سنة117م اصدر قرار (lex hadriana) يعطي امتيازات للمناطق الّتي لم يشملها المسح من الأراضي الوعرة وجبال ...,ولإعادة استصلاحها[3].بالرغم من قانون ماكيانا وهادريانوس والامتيازات الّتي منحها إلا انها أصبحت كأغلال وتدهورت حالة المزارعين وأصبحوا شبه عبيد ,واغلب الأراضي كانت مأجورة للمزارعين .

---

[1] الربيع العولمي , المرجع السابق , ص-ص (362-364.)

[2] الربيع عولمي , ,المرجع نفسه , ص –ص (364.365.366)

[3] عبد اللطيف احمد علي ,التاريخ الروماني ,عصر الثورة ,دار النهضة العربية ,مصر ,1967,ص44.

*ابوليوس (125-180 م)كاتب وفيلسوف افلاطوني من أصول نوميديا ولد في مادوروس مدرواش قرب من قالمة درس فلسفة في اثينة ثم المحامات في روما عاد إلى وطنه الام وتزوج من غنية اميليا اهم مؤلفاته الحمار الدهبي و قصة المسوخ .

- **طبقة العبيد :**

من الواضح أن الإمبراطورية الرومانية وحروبها الّتي شنتها شرقا وغربا و احتلالاتها كانت لها وفرة في العبيد يستخدمونهم في كل نشاطات الاجتماعية والاقتصادية وخاصة في النشاط الزراعي ومنذ سقوط قرطاجة إلى القرن الثاني للميلاد حيث تناقص الرق مقارنة بما سبق وذلك بسبب محاربة الديانة المسيحية للرق ,وإن الثورات الّتي حدثت في المغرب القديم وفرت إعداد من الأسرى والعبيد ,و فيما يذكر ستيفن غزال أن موريطانيا كانت تصدر عبيد إلى أقاليم أخرى من المغرب القديم مأكده أبوليوس مادوري *أن زوجته اميليا بودنتيلا اهدت لأبنائها 400 عبد من أملاكها[1],وذكر أن ميلانيا الصغرى القديسة كانت تقطن قرب تاغست (سوق اهراس حاليا) وتملك أعداد كبيرة من العبيد مزارعين وحرفيين اعتقت الكثير منهم عند تنصرها ومغادرتها للأراضي الافريقية ,وحسب بعض المصادر ان العبيد كانوا يقومون بالأعمال مقيدين ومكبلين تلك المعاملة ما دفعتهم من الهروب والانتماء إلى المنشقين فيما قاله القديس اغسطين ,ويقول أيضا ان كبار الملاك كانوا يلجؤون إلى السكان المتاخمين لخط اللميس للعمل الفلاحي و أعمال أخرى وهم السكان الأصليين الّتي كانوا يطلقون عليهم المتبربرون (barbari) والّذين لا تربطهم علاقة بالدين .[2]

إن الظروف السياسية والاقتصادية الّتي صاحبت الفترة بين القرن الثالث والرابع والإصلاحات الّتي تزامنت معها وارتفاع الضرائب واستحواذ كبار الملاك على الأراضي وبسط نفوذهم على الريف وسكانيه وممارسة عليهم القروض الربوية والّتي حرمت فيما بعد في مجمع قرطاج سنة 397 م, افضى ذلك من حدَّة الاستعباد للمزارعين وتردي أوضاعهم مما اضطروا مغادرة الأراضي فتحولت هذه المساحات الزراعية إلى أراضي بور الّتي كانت الضرائب تتعدى او تقارب المحصول الزراعي [3].

[1] الربيع العولمي , المرجع السابق ,ص-ص (171,172,173).
[2] الربيع العولمي , المرجع السابق ,ص-ص(375-378)
[3] الربيع العولمي ,نفس المرجع ,ص 379.

وخلاصة القول كل هذه الأوضاع الاقتصادية في القرن الرابع للميلاد الّتي أدت تدهور الحياة الاجتماعية لسكان المغرب القديم من جور وتعسف الاحتلال الروماني وفرض قوانين الاضطهاد والحرمان بكل انواعه على الاحرار والعبيد والمزارعين والعمال الموسميين والحرفيين الّتي تمثل سكان المغرب القديم والقوة المنتجة والّتي أدت فيما بعد بروز انشقاق للكنيسة الرسمية وظهور الدوناتية و ثورات القرن الرابع والّتي سنتكلم عليها لاحقا .

ii. 1- الحركة الدوناتية :

ا- (أصل التسمية):

كانت كنيسة افريقيا منذ ظهورها قد احتضنت الشعب واقتربت من معاناته إذ تمكنت المسيحية من الانتشار في عموم بلاد المغرب القديم بانتشار كنائسها في مختلف المدن و القرى فان ذلك كان دليلا على قوتها وكان عاملا لظهور الانقسامات (Schismes) في صفوف أتباعها لأن الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية كانت غير متساوية بين أتباعها[1].

ولذلك فان المجتمع البربري تعرض لعدد من التيارات الدينية التي لم تكن مطابقة لنظرة الكنيسة الرسمية (الكاثوليكية) ومن بين هذه التيارات الحركة الدوناتية، فقد درج المؤرخون استنادا الى مصطلح رجال الدين الكاثوليك امثال أوبطا الميلي Optat Milev و اوغسطين Augustin على تسميتها بالدوناتية[2] نسبة الى احد زعمائها الكبار الذي حمل راية الرفض وعدم الخضوع لإرادة السلطة الرومانية [3] والذي وقف في وجه اساقفة قرطاج الذين رضوا التحالف مع السلطة والاحتماء بها وفق

---

[1] محمد العربي عقون. الاقتصاد والمجتمع. ص 286.

[2] محمد المبكر.شمال افريقيا القديم،حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، ص24.

[3] محمد البشير شنيتي.التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في الجنوب اثناء الاحتلال الروماني. المؤسسة الوطنية للكتاب.الجزائر. 1984.ص285.

* هناك دوناتوس الاكواخ السود نسبة الى بلدة نوميدية تقع شرقي باتنة حاليا، تاريخ ميلاده ووفاته مجهولان وان رجح مونصو وفاته بعد محاكمته من طرف الامبراطور قسطنطين عام 316م ، وأيضا دوناتوس الكبير المدعو بالقرطاجي ولد سنة 270م وتوفي سنة 355م ويرجع اليه الفضل في تنظيم الحركة وتوسيعها.

شروط رأى فيها الاسقف دوناتوس* انحرافا عن مبادئ المسيحية السمحاء وعن القواعد التي كانت تسير وفقها الكنيسة الافريقية شؤونها الداخلية[1].

فحسب المؤرخ بول مونصو فحركة الدوناتية هي انشقاق افريقي صرف نشأت في قرطاج ونوميديا ولم يكن لها اتباع خارج بلاد المغرب القديم في حين كان تأثيرها كبيرا فيها[2]وقد ظهرت بشكل ملحوظ من حركة مناوئة للكنيسة في قرطاج بسبب نزاع نظامي بين الاساقفة الى حركة قوية وحيوية ومؤسسة لكنيسة مستقلة معارضة للكنيسة الرسمية محافظة على المبادئ المسيحية الاصيلة رافضة اي مساومة مع السلطة الحاكمة التي ارادت من التنصير وجعلته دينا رسميا كوسيلة هيمنة بين ايدي الطبقة المالكة والدولة.

فالدوناتية حسب رأي المؤرخ الالماني W.thummel اعتبار الحركة ما هي إلا شكل من اشكال رفض الرومنة في بلاد المغرب القديم بما فيها افكارهم الدينية التي عارضوا بها الكنيسة الافريقية لم تكن تتلاءم إلا مع عقليتهم وتقاليدهم البربربونيقية لتتحول الحركة الدوناتية الى ثورة ضد الظلم الاجتماعي والظلم الاجنبي مما جعل اتباعها يتعرضون للاضطهاد والقتل لتكسب تأييدا او قاعدة شعبية كبيرة على مدار فترة من الزمن[3].

ب- تاريخ ظهور الدوناتية:

أدى الصراع الذي عرفته الاوساط الدينية الافريقية في القرن الرابع الميلادي الى ظهور الانشقاق الذي ذكرناه سالفا تجسد في انفصال مجموعة من رجال الدين عن زملائهم وظهور الدوناتية اذ تسمح المعلومات الواردة في كل من كتابات رجال الدين والمحاضر الرسمية المتعلقة ببعض الشخصيات الدوناتية والكاثوليكية ان جذور هذا الانشقاق الذي ادى الى ظهور حركة الدوناتية تعود الى الاضطهادات

[1] شارل اندري جوليان ص287.

[2] Monceaux Paul, Histoire littéraire de l'Afrique Chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe. Tome 1, Paris 1902, pp 100-105

[1] رأفت عبد الحميد، الدولة و الكنيسة، الجزء الأول، دار قباء للنشر و التوزيع و الطباعة، القاهرة، ص 141.

التي لحقت المسيحيين في عهد الإمبراطور ديوكليتيانوس(Diocletianus)(284م-305م)[1].

حيث لاحقت الادارة الوثنية جموع المسيحيين في بلاد المغرب القديم وضايقتهم بكل انواع الاضطهاد والقتل والترهيب وهدم للكنائس ومصادرة النصوص والوثائق الكنسية وإتلاف الكتب المقدسة وعززت هذه المراسيم بالأمر بتسليط اقسى العقوبات في حق كل مخالف لأوامر الإمبراطور مما اثار الهلع في نفوس جماهير المسيحيين.

فإذا كان الحماس الديني قد جعل البعض لا يعبأ بهذه القرارات رغم قسوتها فان البعض الاخر ارتد او تظاهر بالارتداد حفاظا على حياته خاصة في بلاد المغرب القديم التي وجدت فيها الادارة الرومانية ذريعة للتمثيل بكل رافض للوجود الروماني[2]، فقد كانت قضية المرتدين (Lapsi) هي نقطة بداية الخلاف الذي يتسع فيما بعد حيث نعتتهم البقية الصامدة بالخونة وانقسمت الكنيسة الافريقية الى كنيسة موالية للإمبراطور والسلطة الرومانية (الكنيسة الكاثوليكية) وكنيسة موالية للجماهير فاحتضنها الشعب وهي كنيسة المسيح او كما سماها خصومها بالكنيسة الدوناتية[3].

وكان اسقف قرطاج منسوريوس Mensurius مواليا للسياسة الامبراطورية بمقدار تنكره لمطالب شركائه في الايمان فقد اصبحت الدوناتية حزبا وحركة فعلية بعد وفاته وتعيين كايكيليانوس Caecilianus خلفا له وحتى هذا الاخير لم يعترف بتعيينه حيث وجهت له تهمة الاسهام في القضاء على المؤمنين الذين تظاهروا امام سجن الشهداء في أبيتينا Abitina وطالبه معارضوه بالتنحي من منصبه وعند رفض هذا الاخير نظم معارضوه انفسهم واعتبروا دوناتوس زعيما وأسقفا عليهم، وكانت تلك خطوة نحو ظهور كنيسة موازية للكنيسة الرسمية[4] وهي الدوناتية واعتبرت نفسها الكنيسة الحقيقية والوحيدة في افريقيا اذ لم تتعامل مع السلطة الرومانية الوثنية وقرر الدوناتيون اعادة

[1] رأفت عبد الحميد. الدولة والكنيسة .المرجع السابق.ص142

[2] محمد العربي عقون. المرجع السابق.ص286

[3] رأفت عبد الحميد. الدولة والكنيسة.دار قباء للنشر والطباعة والتوزيع.ج2.القاهرة. ص142.

[4] محمد العربي عقون. المرجع السابق.ص289.

تعميد اعضاء الكنيسة الكاثوليكية وانفصلت الحركة الدوناتية عن الكنيسة الرسمية واحتفظت بمعابدها وممتلكاتها[1].

اما فيما يتعلق بالتاريخ الفعلي لظهور الدوناتية فلا يمكن تحديده إلا بالإطلاع على التطورات التي عرفتها الكنيسة الافريقية في الفترة الممتدة من مجمع كيرتا 305م وحتى سنة 312م لما لها اهمية في ظهور الدوناتية[2].

لكن تلك الخلافات لا يمكن اعتبارها السبب الفعلي الذي ادى الى ظهور الدوناتية للأسباب التالية: تم انعقاد هذا المجمع بمقاطعة نوميديا بينما انعقد المجمع الذي رفض الاعتراف بشرعية انتخاب كيكليانوس الذي كان شماسا لدى منسوريوس بكنيسة قرطاجة[3] حيث ان هذا التعيين كان في غياب كبير أساقفة نوميديا مما يعد خرقا للأعراف والتقاليد المعمول بها في الكنيسة الافريقية وقد توجه سكوندوس – جثليق نوميديا–الى قرطاجة للاحتجاج على هذا الخرق رفقة مجموعة من اساقفة نوميديا وطعنوا في سيامة كيكليانوس لكونها تمت حسبهم على يد شرذمة من الاساقفة المتخاذلين ابان الاضطهاد ووجهت الاتهامات ايضا الى فيليكس(Felix) اسقف أبثوغني (Abthugni) والى الكاهنين بطرس (Botrus) وكايلستيوس (Caelestius) بقرطاجة المتهمين بالخيانة والتخاذل اثناء الاضطهادات والمتهمين بتعيين وسيامة كايكليانوس [4]، لذا توجه سبعون اسقفا نوميديا الى قرطاجة سنة 312م وانتخبوا الاسقف ماجورينوس (Majorinus) اسقفا لكنيسة قرطاجة بعد ادانة الشماس كيكليانوس وعدم الاعتراف بشرعيته وأمروه بالمثول امام المجمع للمحاكمة لكنه رفض وأصر على شرعيته.

ومن هنا بدا الانشقاق في الكنيسة الافريقية والذي اخذ يكتسي طابع العلانية وينتشر في كامل المغرب القديم وبعد وفاة ماجورينوس اثناء انعقاد مجمع روما سنة 313م خلفه الاسقف دوناتوس

---

[1] Monceaux Paul Opcit. P.p.(100- 105)

[2] شارل اندري جوليان. تاريخ افريقيا الشمالية.ج5. ترجمة :مزالي بشير بن سلامة.تونس. 1969م. ص 296.

[3] Monceaux Paul Opcit. P.p(100 :105

[4] البشير شنيتي. التغيرات الاقتصادية ، المرجع السابق.ص284.

الاكبر الذي اعطى اسمه للدوناتيين واعتبر الكنيسة الجديدة هي الكنيسة الكاثوليكية الحقيقية وسماها كنيسة الشهداء او كنيسة القديسين وانه من ينضم اليها من الكاثوليك عليه ان يطهر ويعاد ادخاله الى المسيحية من جديد[1].

وبذلك ظهرت الحركة الدوناتية وانقسمت الكنيسة المسيحية وتكتل كل فريق لمواجهة الفريق الاخر فتزعم كيكليانوس الكنيسة الكاثوليكية وهي حليفة السلطة الزمنية، وبهذا فقد تمكن دوناتوس من اكساب حركته مضامين اقتصادية واجتماعية وسياسية بالتفاف جمهور حوله من الفقراء المضطهدين وتعامل معها ذو المطامح السياسية ايضا ومن ثم اصبحت الدوناتية تمثل اتجاها واضحا لدى جميع الاطراف[2].

ج – عوامل ظهور الحركة الدوناتية:

ان عوامل انتشار المسيحية في المغرب القديم ابتداءا من القرن الثاني حتى القرن الرابع ميلادي تكمن سياسيا في العداء القومي للسكان للهيمنة الرومانية واجتماعيا في تردي الاوضاع الاقتصادية وظروف المعاناة القاسية بالنسبة للأغلبية الساحقة من السكان[3]وقد لعبت هذه العوامل بدورها الى جانب التحول الذي عرفته الكنيسة دورا اساسيا في ظهور الدوناتية وانتشارها[4].

ان الكنيسة ظلت حتى بداية القرن الرابع ميلادي تعبر عن حس المعارضة المنتشر في اوساط سكان المغرب القديم للإمبراطورية الرومانية وسيطرتها كما انها ظلت تجسد المواساة الفعلية للسكان في شفائهم الروحي والبدني وتعطي لهم املا في حياة احسن[5].

---

[1] محمد البشير شنيتي.أضواء على تاريخ الجزائر القديم، بحوث ودراسات. دار الحكمة.الجزائر.2003م. ص181.

[2] احمد توفيق المدني. قرطاجة في اربع عصور، من عصر الحجارة الى الفتح الاسلامي.المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. سنة 1986. ص114

[3] محمد البشير شنيتي.المرجع السابق.ص284

[4] اندري برنيان. اندري نوشي وايف لاكوست.الجزائر بين الماضي والحاضر. ترجمة اسطنبولي رابح ومنصف عاشور. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. سنة 1984.ص 81.

[5] محمد مبارك الميلي . تاريخ الجزائر في القديم والحديث.ج1. ط3. المؤسسة الوطنية للكتاب. ص 301.

ولكن إبتداءا من القرن الرابع ميلادي اخذت تظهر تحولات اساسية في موقف الكنيسة من السلطة الزمنية ومن القضايا الاجتماعية بحيث تصبح نصيرا للنظام الاستغلالي الروماني وتتجه نحو التخلي عن اهدافها الداعية لنشر العدالة والمساواة[1].

هذه التحولات لم تأت نتيجة تطور عفوي بل كانت نتيجة اسباب موضوعية تمثلت في الامتيازات الهائلة التي حظيت بها الكنيسة الكاثوليكية بعد تنصر السلطة الرومانية[2]، كان من المفروض ان تترك تلك التحولات شعورا بالامتعاض وسط الفئات المحرومة من السكان، هذه الفئات التي لم تعد ترى الكنيسة بعد التحالف الذي تم بينها وبين السلطة السياسية سوى مجرد جهاز سلطوي مسخر تماما لخدمة مصالح السلطة الرومانية[3].

وبالتالي لا يمكن الاعتماد عليها في النضال من اجل تحسين اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ودفع هذا الاحساس نسبة كبيرة من المسيحيين الى الانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية والانضمام الى الكنيسة الدوناتية، هذه الاخيرة تحولت من حركة انشقاق في الاوساط اللاهوتية الى حركة ذات طابع ايديولوجي معاد للسلطة تضم مجمل المعادين للوجود الروماني.

يمكننا وانطلاقا من هذا المفهوم العام للدوناتية ان نضيف العوامل المؤدية الى ظهور هذه الحركة الى عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية[4].

ولنبدأ بالتعرض للعوامل الاقتصادية والتي يمكن اختزالها فيما يلي:

- **سياسة الاستيلاء على الاراضي:**

كانت بلاد المغرب القديم بالنسبة لروما مستعمرة[1] للاستغلال لا للعمران ولتحقيق ذلك الهدف قامت قامت بعدة اجراءات منها تجريد السكان من اراضيهم وخاصة الاراضي الخصبة منها وترحيلهم الى

---

[1] محمد البشير شنيتي.التغيرات الاقتصادية،المرجع السابق.ص297.

[2] شافية شارن. بلقاسم رحماني.محمد الحبيب البشاري. الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة. المركز الوطني للدراسات. الجزائر. 2008. ص 242.

[3] شافية شارن واخرون . المرجع السابق.ص242.

[4] شارل اندري جوليان. المرجع السابق. ص 305.

اراضي جبلية وشبه صحراوية كما انتهجت روما اسلوبا بهدف الاحتفاظ بالأرض للأبد وذلك بمسحها وتنظيمها[2].

كما قامت ايضا باستغلال الاراضي الزراعية عن طريق تخصيصها إلى أراضي خاصة بالإمبراطور ومنح البعض الاخر منها لأبناء المسئولين الرومان، وكان الجندي الروماني عندما ينهي خدمته في الجندية تمنح له أرض فلاحية من أجل استغلالها كما انتهجت ايضا مع ملاك الأراضي الأصليين سياسة تتماشى ومتطلبات الحركة الاستعمارية فانتزعت منهم اراضيهم عنوة[3].

- **سياسة الضرائب:**

ان الرومان اخضعوا الاشخاص والأرض لضريبة المهزومين باستثناء مدن معينة وان كانت هذه الضريبة قدرها على الرجل والمرأة متساويا وعليه فان الضريبة كانت قائمة في افريقيا على مبدأ سياسي يتمثل في الوضعية المترتبة عن انتصار روما على هذه البلاد عسكريا واعتبار الارض والبشر في عداد الغنائم التي يؤول ثمارها الى شعب روما المنتصر[4].

وهكذا كانت الارض في نظر القانون ملكا للشعب الروماني وأهلها مستسلمين وعليهم دفع الجزية مقابل الابقاء على حياتهم فهم في منزلة العبيد مع فارق يميز الفئتين، ولا تقل العوامل الاجتماعية التي ساهمت في ظهور العوامل الاقتصادية التي سبق ذكرها بل هي مكملة لها[5].

ولما كانت البنية الهرمية لسكان المغرب الروماني على شكل طبقات اجتماعية متباينة فقد تضرر البسطاء دون سواهم من تردي الاوضاع الاقتصادية فلقد ساءت الحالة الاقتصادية التي انعكست سلبا على الوضعية الاجتماعية بسبب الزيادة في الضرائب وحدثت فوضى بسبب اتباع روما سياسة

---

[1] احمد توفيق المدني. المرجع السابق. ص 107.

[2] عمار بوحوش. التاريخ السياسي للجزائر من البداية الى نهاية 1962. دار الغرب الاسلامي. الجزائر. ط2. 2005.ص-ص(13-17).

[3] رأفت عبد الحميد. الدولة والكنيسة.المرجع السابق.ص 141.

[4] محمد البشير شنيتي. المرجع السابق. ص 127.

[5] شافية شارن واخرون. المرجع السابق. ص233.

فرق تسد فضلا عن ترك الجيش ينهب المدن حيث بلغت الحالة الاجتماعية حدا جعل الغضب يمس الطبقات المحظوظة المرومنة التي هي مدينة في ثروتها للمساعدة الرومانية[1] ثم جعلت تتحمل ثمن هذه الفوضى، فقد عبرت عن غضبها بأشكال مختلفة خاصة بانضمامها الى حركة الدوناتية التي تعبر عن رفضهم للسلطة الرومانية كما كان للعوامل السياسية دور هام في ظهور الدوناتية الى جانب العوامل الاقتصادية والاجتماعية[2].

ان تنصر السلطة الرومانية التي كانت تضطهد المسيحيين اعتبرها دوناتوس استغلالا للمسيحية لأغراض سياسية عجزت عن تحقيقها بالوسائل العسكرية، لقد كان لتنصر السلطة الزمنية بقيادة قسطنطين سنة 312م في تقوية الكنيسة بعد ان تعززت سياسيا وراح الاغنياء يغدقون عليها بالأموال واخذ رصيدها الاقتصادي ينمو وبرز في مقدمة ذلك رجال الدين مشكلين طبقة اجتماعية مرموقة[3] غير ان هذه الخطوة الكبرى التي غمرت الكنيسة تحت جناح الامبراطور قد افقدها قيمتها المعنوية لدى الطبقة المحرومة التي كانت وقودا لنيران الاضطهاد من قبل.

حيث ان هذا التحول انحرف بالكنيسة تدريجيا عن مبادئها النضالية في نظر تلك الطبقة المسحوقة من النصارى وقطعها عن ماضيها المليء بالتضحيات من اجل تعميق المبادئ المسيحية الاولى في نفوس المقهورين[4].

ومن ثم فقد حق للمتمسكين بالمبادئ المسيحية ان يناهضوا الكنيسة التي تخلت في نظرهم عن تلك المبادئ ويعارضوا سلوكها المتخاذل مع السلطة، ويندوا بمواقفها السياسية التي اتت برجال الدولة الاثرياء ممن كانوا يسومونهم العذاب بالأمس الى حظيرة الكنيسة[5] وهكذا كان لتنصر السلطة عاملا

---

[1] محمد البشير شنيتي. المرجع السابق. ص 282.

[2] Mouloud Gaid. Aguillids et Romains en berberie.2EME Edition. OPU ENAL. Alger. 1985.

[3] أندري برنيان وآخرون. المرجع السابق.ص83.

[4] ALBERTINI Eugene. L'Afrique Romanie. Presse de L'imprimerie officielle. Alger : 1955.p.118

[5] أندري إيمار. تاريخ الحضارات العام, الجزء الثاني. ترجمة فريد داغر, بيروت.ص 564.

اساسيا في ظهور الدوناتية كحركة سياسية وهو البعد الذي ترجمه خصومها الكاثوليك في وصفهم لها بأنها ثورة سياسية تستهدف الحصول على السلطة وتبلورت مبادئها الاجتماعية والسياسية في تمسكها بالمبادئ الاولى المناهضة للضيم الاجتماعي ولجبروت السلطة[1].

د- الإطار الجغرافي لانتشار الدوناتية في بلاد المغرب القديم:

عندما نذكر موضوع الصراع في الكنيسة المسيحية بصفة عامة يتبادر في الاذهان الحركة الدوناتية في بلاد المغرب القديم وهي الحركة الدوناتية التي سببت اضطرابا كبيرا في الكنيسة المسيحية والإمبراطورية الرومانية خلال القرن الرابع ميلادي فالدوناتية حركة دينية افريقية ولدت في قرطاج ونوميديا وجندت اتباعها عبر كامل المقاطعات الافريقية مستغلة ظروفا عديدة من ابرزها سوء الظروف والأوضاع الاجتماعية والمعيشية للسكان ضد الامبراطوية الرومانية هذا التذمر والفقر والحرمان كان منتشرا في الريف المغربي جراء السياسة الرومانية القمعية وهذا ما يفسر الانتشار الكبير لهذه الحركة في أوساط الأرياف التي كانت نقطة اطلاق ثورة الدوارين[2].

ونظرا لعدم توفر معلومات دقيقة عن عدد المنخرطين في صفوف الكنيسة الدوناتية منذ ظهورها حتى سنة 411م اكتفينا بعدد المشاركين في مجمع قرطاج الديني والتي تبدو اقرب الى الصواب تلك التي وردت في محضر المجمع المشار اليه ويقدر أتباع هذه الحركة 279 اسقفا دوناتيا موزعين عبر المقاطعات الافريقية في كل من نوميديا وبيزاكينا والموريتانيتين السطيفية والقيصرية وقرطاج البروقنصلية.

ويمكن اعتبار نوميديا مركز الحركة الدوناتية في افريقيا من خلال وجود الكثير من الكنائس الدوناتية بتاموقادي وتيفاست وباغاي، بينما قرطاج كانت تتزعم الاسقفية في افريقيا امام كنيسة روما ويمكن تفسير التفوق الكاثوليكي بها الى كثرة الاغنياء سواء كانوا من الطبقة الارستقراطية الرومانية[3] او من الجاليات الاجنبية الوافدة كالايطالية التي كانت تشرف على استثمار كل اراضي الارستقراطيين الرومان وأراضي اعضاء مجلس الشيوخ الروماني.

---

[1] محمد البشير شنيتي. المرجع السابق. ص330.

[2] Paul Monceaux. Histoire littéraire de L'Afrique Chrétienne .op cit . P .P 38.

[3] Paul Monceaux. Histoire littéraire de L'Afrique Chrétienne .Ibid. P 39.

كذلك عم انتشار الحركة الدوناتية مقاطعات اخرى في بيزاكينا وطرابلس وموريتانيا القيصرية اذ ان انتشارها يظهر واضحا مثل تيبازة وسطيف وان هذا الانتشار في موريتانيا ساعده مجموعة من العوامل منها استغلال الدوناتيين لفترة التسامح الديني التي اعلن عنها قسطنطين سنة 321م.

وكلما تعمقنا في المناطق الداخلية لبلاد المغرب القديم نلاحظ انتشار واسع للحركة الدوناتية ويبدو ان ذلك راجع الى قلة تأثرها بالرومنة ونجاح خطاب الدوناتيين في تحريض السكان ضد السلطة الرومانية[1] مستغلين أوضاعهم المزرية كما يفسر بعض المؤرخين سبب تذمر قاطني المناطق الداخلية لنوميديا من السلطة الرومانية نتيجة لجشع كبار الملاكين الرومان وتوسعهم الزراعي الى تلك المناطق المعروفة بطابعها الريفي وبالتالي السيطرة على لقمة العيش للسكان الاصليين كما ان الاثار تشير الى وجود الكثير من الكنائس الدوناتية في بلاد المغرب القديم خلال الفترة التي عرفت انتشارها نجد العديد منها متمركز في الاوراس والجنوب الغربي لتيفاست و قد عثر المؤرخون الفرنسيون على احدى اكبر البازيليكات الدوناتية في منطقة (قصر الكلب) تقع حاليا بين ولايات خنشلة وتبسة وأم البواقي و يمكن للباحث الاثري ان يرى بسهولة مدى انتشار البازيليكات والنقوش المتعلقة بالحركة الدوناتية بتيفاست وقد اشار الى ذلك ستيفان غزال في الاطلس الاركيولوجي[2].

iii. موقف السلطة الرومانية من الصراع الدوناتي الكاثوليكي:

يعتبر الامبراطور قسطنطين اول شخصية سياسية التي تدخلت في الخلاف الذي ظهر بين الكنيستين الكاثوليكية والدوناتية، اذ يمكن تقسيم موقف السلطة الزمنية الى مرحلتين متباينتين- المرحلة الاولى من سنة 313م في مجمع روما وآرل (ARLES) سنة 314م الى 347م[3].

---

[1] محمد البشير شنيتي. المرجع السابق.ص297.

[2] Gsell S.recherches archéologique en Algérie. (1983).pp.83-85

انظر إلى الملحق للخريطة 1 و 2 يمثل انتشار اللأبرشيات الدوناتية والكاثوليكية في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا وموريتانيا السطيفية

[3] رافت عبد الحميد. المرجع السابق.ص154.

اما المرحلة الثانية شملت ابتداءا من سنة 347م الى سنة 412م وسبب اختيارنا لسنة 347م لتكون حدا فاصلا بين المرحلتين وذلك يعود الى التغيير الذي طرأ على موقف السلطة الزمنية تجاه الدوناتية وموقف هذه الاخيرة من الاولى نظرا للتطورات التي عرفتها هذه الكنيسة والتي لها دور في ذلك التغيير[1].

تميزت المرحلة الاولى بمعارضة الامبراطور قسطنطين لهذه الحركة وانحيازه للكنيسة الافريقية من خلال القرار الذي اصدره سنة 313م والذي يؤيد فيه الكنيسة الكاثوليكية التي يرأسها كايكيليانوس وإعفائهم من الضرائب والنفقات العمومية وأعمال السخرة، والزم قسطنطين في نفس الوقت البروقنصل انولينوس والكاهن باتريسيوس بدعم كايكيليانوس ضد المنشقين الدوناتيين بينما طالب الدوناتيين الى الامتثال لقرارات السلطة الحاكمة[2].

اذ يعد هذا الموقف الذي اتخذه قسطنطين من الصراع داخل الكنيسة الافريقية تدخلا سياسيا في شؤون الكنيسة، الامر الذي دفع بالدوناتيين الى طرح قضيتهم امام اساقفة اجانب من وراء البحر بكنائس ايطاليا وغاليا مشيرين الى جرائم وإضطهادات ديوكليتيانوس لكنهم فشلوا بعد تدخل الامبراطور في القضية، فاحتج الدوناتيون وطالبوا الامبراطور قسطنطين بالتدخل فهذا الاخير الذي دعا الاطراف الى حضور مجمع مسكوني في أوت 314م في مدينة آرل (ARLES) بغاليا والذي جاء مؤيدا للأحكام السابقة الصادرة ضد دوناتوس وأتباعه[3].

وقدم الاساقفة الدوناتيين التماسا الى محكمة الامبراطور بعد صدور مجمع آرل إلا ان المحكمة ترددت لمدة سنتين وفي سنة 316م تضمن الحكم ان كايكيليانوس افترى عليه خصومه وان سيامته شرعية ونتيجة ذلك فهو الاسقف الشرعي الوحيد في قرطاجة[4].

---

[1] محمد البشير شنيتي.التغيرات الاقتصادية، المرجع السابق.ص 290.

[2] شافية شارن واخرون.المرجع السابق. ص 244.

[3] رأفت عبد الحميد. المرجع السابق.ص148.

[4] محمد البشير شنيتي. أضواء على تاريخ الجزائر. المرجع السابق. ص181.

وبهذا صدر أول قانون لحضر الدوناتية بداية سنة 317م وبالتالي مرسوم الوحدة الدينية في الكنيسة الافريقية وتلقى الدوناتيون هذه الاحكام على انها سلسلة جديدة من الاضطهاد شبيهة باضطهادات ديوكليتيانوس(303- 305م)[1].

وجاءت قرارات قسطنطين سنة 317م باستعادة الكنائس والمعابد من الدوناتيين الامر الذي أدى الى صدامات ومواجهات عديدة بين الدوناتيين والكاثوليك وخلفت العديد من الضحايا، دامت تلك الاضطهادات حتى سنة 321م والتي غيرت السلطة الرومانية من سياستها بتبني قانون التسامح والذي بموجبه سمح للدوناتيين بممارسة طقوسهم والاحتفاظ بكنائسهم التي صودرت منهم وإعادة أساقفتهم المنفيين وذلك رغبة من الامبراطور في إعادة الاستقرار للمنطقة حينها نعم الدوناتيين بموجب هذا المنشور فترة من الزمن في السلم واستفادوا من الاضطراب الذي كانت تعرفه المنطقة حيث وظفوهم لصالحهم في نشر أفكارهم والتغلغل في المدن والأرياف[2].

اما المرحلة الثانية فتبدأ بحملة إعادة الوحدة الدينية ببلاد المغرب من خلال سياسة الإغراء التي جاء بها الامبراطور قسطنطين فأعلن عن مجموعة من الامتيازات استفادت منها الكنيسة الكاثوليكية سنة 326م وحرم منها المنشقين الدوناتيين وكان الهدف من هذه السياسة هو تشجيع الدوناتيين على العودة الى الكنيسة الرسمية للاستفادة من تلك الامتيازات وكذلك الضغط على الدوناتيين بهدف حملهم على ترك كنائسهم والانسحاب منها كنتيجة للظلم الذي يشعرون به جراء هذه السياسة[3].

لقد كان الامبراطور قسطنطين من اكثر الاباطرة الذين تعاملوا مع الحركة الدوناتية بحنكة زائدة وحاول استيعابها رغم ميله الواضح للكاثوليك وبعد وفاته سنة 337م واعتلاء ابنه الامبراطور قنسطانس (337م- 350م) الذي أراد توحيد الكنيسة الافريقية بالقوة مما خلق أزمة حقيقية بين السلطة والكنيسة الدوناتية في بلاد المغرب القديم وتحولت الى مواجهات دامية كانت مدينة باغاي سنة

[1] ALBERTINI Eugene. L'Afrique Romanie. Opcit.p.118

[2] رأفت عبد الحميد. المرجع السابق.ص145.

[3] شافية شارن وآخرون. المرجع السابق. ص246.

347م مسرحا لها والتي تركت جروحا عميقة في نفوس الدوناتيين وصودرت الكناس الدوناتية وممتلكاتها ووضعت في يد الكاثوليك الذين كان أساقفتهم على رأس الجيش المهاجم[1].

وتميزت هذه المرحلة بالعنف والعنف المضاد وتجلت بالتحالف بين الكنيسة الكاثوليكية والسلطة من جهة وبين الدوناتية والثوار الريفيين من جهة ثانية اذ تخلوا عن المقاومة السلمية واستعانوا بالثوار الريفيين في الدفاع عن وجودهم ضد الكاثوليك المحتمين بحراب الجيش[2].

وفي عهد الامبراطور جوليان (361- 363م) استفاد الدوناتيون من التسامح الذي أعاد لهم كنائسهم وانتهزوا من فرصة التسامح بالانتقام من الكاثوليك وذلك بمساعدة شخصيات سياسية كمساعدة حاكم موريتانيا القيصرية، وبعد وفاة الاسقف دوناتوس الكبير في المنفى سنة 355م تم انتخاب بارمينيانوس (355م-393م) أسقفا للكنيسة الدوناتية في قرطاج والذي بعث بالحركة الدوناتية من جديد وفرض احترامه على أعدائه وكان مجادلا كبيرا وخطيبا[3].

وهكذا استفادت الكنيسة الدوناتية من سياسة الادارة الرومانية بعد سنة 362م وعرفت أوج تطورها وانتشارها خلال السنوات التي أعقبت حكمه رغم سعي خلفائه من بعده الى توفير حماية أكبر للكنيسة الكاثوليكية[4].

استفاد الدوناتيون من تسامح الإمبراطور جوليان (361م- 363م) الذي أعاد لهم كنائسهم التي صودرت بموجب القرارات السابقة ولكن مع تولي غراتيان تجدد الاضطهاد وأيضا في فترة حكم هونوريوس من خلال القرارات التي يصدرونها ضدهم[5].

iv. الصراع الكاثوليكي / الدوناتي:

أ-موقف الدوناتيين من الكاثوليك:

[1] محمد المبكر. المرجع السابقز ص 120.

[2] محمد البشير شنيتي. التغيرات الاقتصادية. المرجع السابق.ص-ص(298-299)

[3] المرجع السابق. ص300.

[4] شارل أندري جوليان. المرجع السابق.ص300.

[5] شافية شارن وآخرون. المرجع السابق. ص247.

يعود تاريخ الصراع الدوناتي/الكاثوليكي إلى سنة 312م حيث حدث الانشقاق الكنسي وانقسمت الكنيسة الافريقية ولم يكن الاختلاف نابع عن مواقف أو خلفيات فكرية أو اجتهادات فقهية بل هي صادرة عن مواقف وتطلعات اجتماعية ضاغطة ونلمس هذا بوضوح في تاريخ تلك الأرضية البشرية ونشاطاته[1].

لقد اعتمد الدوناتيون في مجال نشاطهم فكرة الصراع الطبقي وقد استمدوا طاقاتهم من الفئة الأكثر تضررا بالنظام الاقتصادي الاجتماعي والمناهضة للاحتلال الروماني عكس ما فعلته الكنيسة الكاثوليكية الرسمية التي اعتمدت على السلطة الزمنية والطبقة الثرية في المجتمع وهكذا أصبح الخلاف الديني صراعا اجتماعيا أساسه التمايز الاقتصادي والاجتماعي، وقد وجد هذا الصراع في أوضاع البلاد خلال القرن الرابع الميلادي مما ساعده على اكتساب تلك المضاعفات التي تبلورت في صفة مقاومة[2] يكشف هذا الموقف الذي اتخذه الدوناتيون من الكاثوليك عن المضامين الثلاثة (الدينية والاجتماعية والاقتصادية) التي احتوتها الدوناتية[3].

ويتمثل المضمون الأول في انفصال الدوناتيين عن خصومهم الكاثوليك (الكنيسة) إذ اعتبروا الكنيسة الكاثوليكية الرسمية كنيسة الكفار والشياطين" L'église des diables "وأن كنيستهم كنيسة الأطهار القديسين L'église des saints و أنه على من ينضم اليها من الكاثوليك أن يطهر ويعاد ادخاله في المسيحية من جديد[4].

إذ يعتبرون كنيستهم هي الممثل الشرعي والوحيد للمسيحية في بلاد المغرب وأن المنشقين هم الكاثوليك لأنهم تخلوا عن المبادئ الصحيحة للمسيحية وأنهم ورثة مبادئ الشهداء والقديسين وأن

[1] رأفت عبد الحميد.المرجع السابق.ص146.

[2] محمد البشير شنيتي. أضواء على تاريخ الجزائر القديم. المرجع السابق.ص181.

[3] محمد البشير شنيتي. التغيرات الاقتصادية.المرجع السابق.ص291.

[4] محمد البشير شنيتي. أضواء على تاريخ الجزائر القديم.المرجع السابق.ص181.

الكاثوليك أحق بالمحاكمة لأنهم تخلوا عن الدين بتواطئهم مع السلطة الرومانية وخانوا أرواح الشهداء[1].

ويظهر المضمون الاجتماعي من خلال قطع الدوناتيين للعلاقات الاجتماعية التي كانت تجمعهم بالكاثوليك قبل الانفصال ومما يقوي هذا مبدأ المقاطعة الذي انتهجته الحركة إزاء الكاثوليك من ذلك أنها كانت تدعو أتباعها للامتناع عن تبادل التحية أو الكلام مع الكاثوليك وعدم مجالستهم أو التردد على أماكن جلوسهم وكذلك عدم مخاطبتهم بعبارة أخ أو أخت والامتناع عن مصاهرتهم كما أمر أسقف عنابة (هيبون) الدوناتي الخبازين بعدم تقديم الخبز للكاثوليك، وكذلك منع دفن موتاهم بمقابر الدوناتيين باعتبار الكاثوليك ملوثين بدناسة الكفر والردة ومن ثم لا يحق لهم مشاركة الدوناتيين في أداء الشعائر الدينية.

والشيء الذي ينبغي الاشارة اليه هو ان الدوناتيين كانوا يسعون إلى تحقيق أهدافهم الاجتماعية حتى وإن كانت غير واضحة عند ظهور هذه الحركة وذلك يعود إلى الطابع الديني الذي ظهرت به في بدايتها.

أما المضمون السياسي و المتمثل في مقاومة الدوناتيين للسلطة الرومانية باعتبارها المسئولة عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية[2] التي عرفتها المنطقة خلال القرن الرابع الميلادي ما ساعده على إكتساب تلك المضاعفات التي تبلورت في صورة مقاومة عنيدة لا تكل ولا تني[3].

ب–موقف الكاثوليك من الدوناتيين:

لم ينحصر الصراع الديني بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الدوناتية في المستوى التنظيمي بين أساقفة الكنيستين فقط بل إمتد إلى مستويات اخرى.

[1] محمد البشير شنيتي. التغيرات الاقتصادية...المرجع السابق.ص291.

[2] محمد البشير شنيتي. التغيرات الاقتصادية...المرجع السابق.ص293.

[3] محمد البشير شنيتي. أضواء على تاريخ الجزائر القديم. المرجع السابق.ص181.

ففي الميدان السياسي اتخذت الكنيستان موقفا مختلفا من السلطة الرومانية من حيث أن الكنيسة الكاثوليكية اعتمدت واحتمت بعصا الدولة من أجل إرجاع المنشقين الدوناتيين إلى الكنيسة الرسمية وحملوهم مسئولية الأحداث التي انجرت وراء تصرفاتهم اللامسئولة والمتطرفة[1].

بينما في الميدان الاجتماعي انقسم سكان بلاد المغرب القديم إلى فئتين من جمهور الشعب فالحركة الدوناتية استقطبت فئة الفقراء والمضطهدين والطبقة المحرومة بينما استقطبت الكنيسة الكاثوليكية الطبقة الأرستقراطية و كبار الملاك المرومنين واستمدت أفكارها من خلفياتها السياسية الموالية للدولة[2]، وهو ما إنعكس على الحياة اليومية من خلال تغير المعاملات السائدة قبل ظهور حركة الدوناتية ومن أولى المعاملات التي تغيرت وتعكس قوة الصراع الاجتماعي وصل إلى تحديد الانتماء المذهبي كشرط لعقد علاقات الزواج وهذه القضية يبدو أنها طرحت في العديد من المجامع الكنسية وصيغت حولها العديد من القوانين الكنسية كالمجمع المنعقد في هيبون سنة 393م حرم على أبناء الاساقفة ورجال الدين الكاثوليك بشكل عام الزواج من الوثنيين و الهراطقة و المنشقين و هذا القانون يسري على جميع المؤمنين بالمذهب الكاثوليكي و قد تعدى إلى قانون المراث أيضا[3].

أما في الميدان الثقافي أدى الصراع إلى بروز وتطور جدال كلامي بين رجال الكنيستين وبروز شخصيات فذة من الجانبين لعب دورا أساسيا في تطور الفكر المسيحي برمته، نذكر من الجانب الدوناتي برمينيانوس (355م-393م) الذي ألف كتابا من خمس أجزاء ضمنه الدفاع عن الدوناتية ويتحدث عن كنيسة المتخاذلين حسب الردود التي ردها عليه أوبطا الميلي[4].

اضافة للمؤسس الحقيق للدوناتية دوناتوس الكبير الذي ألف كتابا كبيرا بعنوان الروح القدسية وكتاب عن التعميد لكن كتب الدوناتيين أغلبها تم حرقها من قبل الكاثوليك لمنع انتشار أفكارهم وكذلك بيتليانوس أسقف كيرتا الدوناتي الذي ألف كتابا أصول الدوناتية شارحا تاريخها.

---

[1] محمد البشير شنيتي.أضواء على تاريخ الجزائر القديم. المرجع السابق. ص179.

[2] شافية شارن وآخرون . المرجع السابق. ص247.

[3] Fernand Mourret, Histoire générale de l'église, Paris, Tome 2, page 288

[4] محمد البشير شنيتي. التغيرات الاقتصادية....المرجع السابق.ص344.

أما عن أقطاب الفكر الكاثوليكي نجد رائد الجدل الكاثوليكي المناهض للدوناتية "أوبطا الميلي" الذي ألف كتابا حماسيا شديدا التحامل على الدوناتية عارض فيه آراء بارميانوس وسماه كتاب الرد على بارميانوس الدوناتي ألفه حوالي سنة 366م وعملاق الكاثوليكية وأحد اقطابها اللاهوتيين المسيحيين القديسين أوغستين[1] حامل لواء الرومنة الفكري الذي لم يتردد في استعمال جميع الوسائل والإمكانيات التي تحمل الدوناتيين على الرضوخ إلى السلطة والدولة وكنيستها الرسمية ومن أبرز مؤلفاته كتاب الإعترافات، مدينة الله وكتاب الثالوث[2].

V – أوغستين والحركة الدوناتية أنموذجا:

بعد تعيين اوغستين على رأس الكنيسة الكاثوليكية بهيبون "عنابة" سنة 392م وضع أمام تحدي مواجهة الدوناتيين وخاصة أن هذه المدينة أغلب سكانها من أنصار الحركة الدوناتية وهو ما فرض على الأسقف اوغستين أن يتأمل بشكل عميق في تغيير المجتمع وذلك باستخدام اسلوبه الفلسفي خاصة وأنه كان له إطلاع على أراء الفلاسفة وأفكار مفكري عصره أمثال شيشرون وأفلاطون[3].

وقد عبر"اوغستين" صراحة بمعارضته لتوجه الحركة ففي نظره أن حركة الدوناتية قسمت الديانة المسيحية وخرقت وحدتها في حين أن طموحه كان وحدة المسيحية على أساس المذهب الكاثوليكي وعدم حصر مذهب معين، كما أسس لذلك الدوناتيين فنظرة اوغستين كانت تشير بوضوح مسايرته لكنيسة روما وهو الذي درس فيها وترومن هناك[4].

ومن خلال تتبعنا للمواجهة التي خاضها اوغستين ضد الدوناتيين منذ اعتلائه أسقفية هيبون استخدم كل الطرق الممكنة لتحقيق الانتصار عليهم والتي يمكن ان نضعها في شكل نقاط:

---

[1] أوغستين:ولد في نوفمبر 354م بمدينة تاغاست سوق اهراس حاليا وامه تدعى مونيكا مسيحية عكس ابوه الذي كان وثنيا، تعلم القراءة والكتابة في مسقط رأسه، عند بلوغه 17سنة انتقل الى قرطاج حيث تعلم اللغة اللاتينية والرياضيات والفلسفة والادب اليوناني والروماني وفي سنة 392م اصبح اسقفا بمدينة هيبون الكاثوليكية حتى وفاته سنة 430م.

[2] حفناوي بعلي. القديس اوغستين والمدينة الفاضلة. فيلسوف افريقيا والإنسانية. مجلة المعرفة.عدد 511.سنة 2009. ص67.

[3] هنري تشادويك. اوغستينوس. مقدمة قصيرة جدا.ترجمة احمد مُحَمَّد الروبي.هندروي للتعليم والثقافة.ط1. القاهرة . 2016.ص70.

[4] هنري تشادويك. المرجع نفسه. ص 92.

1- تحريض السلطة الرومانية ضد الدوناتيين، فقد فهم اوغستين طبيعة العلاقة السيئة التي تربط السلطة الرومانية والحركة الدوناتية فاستغل ذلك للقضاء على خصومه وهو ما يمثل دعوة مباشرة لتدخل الدولة في شؤون الكنيسة باستخدام القوة وهي سياسة عامة انتهجتها الكنيسة الكاثوليكية[1].

وقد جاراه قبله "اوبطا الميلي" من خلال تحميل الدولة مسؤولية القضاء على الإنشقاقات في الكنيسة، وقد نجحت رسائل "اوغستين" الموجهة إلى السلطة الرومانية في تفعيل هذه الاخيرة لأجهزتها مقابل مواجهة أتباع الحركة الدوناتية[2] وهذه الوشايات التي لحقت بهم أدت إلى وقوع أعمال وحشية وتعذيب وقتل.

فقد حدث في قرطاج مثلا أن جنود الرومان هاجموا اتباع الحركة الدوناتية داخل كنائسهم ثم اصدار قوانين منها التي تصادر ممتلكات الدوناتيين لصالح الكنيسة الكاثوليكية، وكذلك أوامر بالنفي والترحيل لتشتيتهم[3] ونجد بين السنوات 392م حتى 404م الكثير من الأوامر التي تدل على ذلك، فعلى سبيل المثال أمر الامبراطور "ثيودوسيوس" بترحيل كل شخص يزعج الكنيسة الكاثوليكية و يفسر هذا على توجه واضح للسلطات الرومانية نحو أحادية المذهب والتدخل المباشر في الشؤون الدينية للمسيحيين[4].

2- المؤتمرات والجدال الكلامي: ومن منطلق فكري جدلي وما للجدال من أهمية في الاقناع ويبدو ان الكنيسة الكاثوليكية اختارت اوغستين من خلال نجاحه في عمله الميداني داخل كنيسة "هيبون" ودرايته بمسائل الجدل والحوار، فقد فهم اوغستين قوة الحجَج اللاهوتية ودورها في محاربة الحركة الدوناتية فعمل على إمداد الكنيسة الكاثوليكية بمجموعة من الحجج وحث أساقفتها على عقد سلسلة من المجامع الكنسية لتشكيل جبهة واحدة وأسلوب موحد وحتى كبير أساقفة قرطاج عول كثيرا

---

[1] أندري برنيان، أندري نوشي، إيف لاكوست.الجزائر بين الماضي والحاضر. ترجمة: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1984م. ص 82.

[2] عثمان سعدي. الاب دونا.المرجع السابق. ص227.

[3] محمد المبكر. شمال افريقيا القديم. المرج السابق.ص141.

[4] Paul Monceaux. Histoire littéraire de L'Afrique Chrétienne .op cit . P 250.

على اوغستين رغم ان كنيسة قرطاج هي الكنيسة الاولى في بلاد المغرب، ويكمن اسلوب اوغستين في الرد بالعودة الى الحجج الفقهية ونصوص الكتاب المقدس وإكمال العمل الذي قام به سلفه "اوبطا الميلي"[1].

ولتحقيق الاهداف التي كان يتوخاها اوغستين من خلال عقد المؤتمرات كان يدعو اليها ويشرف على تنظيمها ويكون طرفا فعالا من خلال التحضير الجيد لها حتى يظهر خصومه في موقف ضعف، ومن ابرز المجامع التي عقدت بين الكاثوليك و الدوناتيين نجد مؤتمر قرطاج سنة 411م الذي يعد ضربة قاضية لخصومه الدوناتيين[2].

[1] محمد المبكر.شمال افريقيا القديم.... المرجع السابق.ص42.و هنري تشادويك. المرجع السابق. ص94.

[2] المرجع نفسه. ص185.

الفصل الخامس

الحركة الدوناتية و ثورات القرن الرابع ميلادي في بلاد المغرب القديم

– نبذة عن ثورات القرن الثالث ميلادي:

قبل الحديث عن ثورات القرن الرابع ميلادي التي شهدتها بلاد المغرب القديم علينا أن نشير إلى ثورات القرن الثالث ميلادي في أصعب مرحلة عرفتها الإمبراطورية الرومانية حيث كثرت المحاولات الانفصالية في بعض المقاطعات و اشتداد الهجمات التي شنها الفرس و القوط و الجرمان على حدود الإمبراطورية.

و يتضح من خلال الدراسات الحديثة أن بلاد المغرب عرفت العديد من الثورات و الاضطرابات نتيجة فشل سلطة الاحتلال الروماني في فرض سيطرتها المطلقة على كافة شمال افريقيا[1] و كسب ولاء سكان المنطقة الأمر الذي أدى إلى الإعلان عن سخطهم و رغبتهم في التخلص من الوجود الروماني و ذلك نتيجة السياسة الاستبدادية و الضرائب المجحفة.

من بين أهم هذه الثورات خلال هذا القرن ثورة سنة 253 م حتى 256 م حيث شملت قبائل البوار وقبائل الحلف الخماسي المتمركزة بين صلداي (بجاية) إلى نوميديا حيث شن الثوار ثورة شاملة على المؤسسات الاقتصادية الرومانية[2].

و تجددت الثورة مابين سنتي 289 م و 292 م حيث لم يتمكن حاكم موريتانيا القيصرية رغم الانتصارات التي حققها ضد القبائل الثائرة من تهدئة الأوضاع حيث اضطر الإمبراطور "ماكسيمسليانوس Maximilianos " إلى التدخل لوضع حد لثورة قبائل الحلف الخماسي[3].

لتؤكد لنا هذه الأحداث أن شمال افريقيا ودع القرن الثالث ميلادي بروح الثورة و التمرد ليستقبل القرن الرابع ميلادي بإصلاحات إدارية و اقتصادية و عسكرية أسماها المؤرخون بإصلاحات ديوكليتيانوس

[1] محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، ترجمة صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1993، ص 148.

[2] محمد البشير الشنيتي، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية ...، المرجع السابق، ص 305.

[3] نفس المرجع، ص 307.

(284-305 م) هي في الحقيقة تضعيف لشد الحبل و ضغط أكبر على الطبقة الفقيرة ومن ثم تضافرت عوامل الثورة و التمرد في أوساط أهل الريف[1].

– أحداث باغاي ودورها في إذكاء الصراع 347 م:

تعتبر سنة 347 م نقطة تحول كبيرة في تاريخ الحركة الدوناتية بعد القرارات التي اتخذها الإمبراطور "قنطانس" (Constantus)* و حاول تحقيق وحدة دينية والسير على خطى والده "قسطنطين (Constantus) المتوفى في 337 م فأرسل محافظين إلى المغرب القديم وهما "ماكاريوس " "(Macrius) **و** بوليس "(Paulus) و الذين طلبا من الدوناتيين ضرورة الارتباط و المشاركة في قداس الكاثوليك و حاولت الرواية الكاثوليكية إعطاء طابع إنساني لحملة المبعوثين المكلفين من قبل الإمبراطور بإحصاء الفقراء وحثهم على الوحدة الدينية[2].

و بوصول المبعوثين إلى نوميديا الجنوبية بدأ عهد جديد من الاضطهاد الديني متخذا حملة عسكرية ضد السكان الأهالي وعملية تطهير ضد الدوارين لتبدأ مرحلة جديدة في الصراع المسيحي الدوناتي/ الكاثوليكي الذي بدأ دينيا ولكنه سرعان ما أخذ طابعا اجتماعيا بأطراف متعددة ممثلة في السلطة السياسية الرومانية والكنيسة الكاثوليكية الرسمية من جهة في وجه الحركة الدوناتية والدوارين أصحاب المطالب الاجتماعية من جهة مقابلة[3].

---

[1] مُحَمَّد المبكر، شمال افريقيا القديم، المرجع السابق، ص 58.

* قسطانس : ابن قسطنطين، عاش ما بين 317-361 م. امبراطور روماني ورث العرش عن أبيه سنة 337 م. مات و هو يقاوم القيصر جوليان الذي كان أعلن نفسه امبراطورا.

[2] مُحَمَّد المبكر، المرجع السابق، ص 226.

[3] مُحَمَّد البشير شنيتي. أضواء على تاريخ الجزائر...المرجع السابق.ص-ص(181- 182).

خلال سنة 347 م جرت أحداث دموية نتيجة للعنف المتواصل بعد مرسوم الإمبراطور الذي أراد تطبيقه باستخدام العنف الدموي بواسطة " ماكاريوس " الذي مارس حملة اغتيالات في مدينة باغاي[1] بعدما رفضت الحركة الدوناتية سياسة الإمبراطور القائمة على منح الصدقات للسكان لامتصاص غضبهم و قام " دوناتوس" بتحويل "باغاي " إلى معقل للمقاومة وجعل من كنائسها مخازنا للحبوب[2].

وسمحت تلك الأحداث بارتباط الحركة بمحيطيها وبدأت تتحول تدريجيا إلى مقاومة شاملة، وعبر السكان في مدينة "فيجزيلا "(Vegezila) (في شمال الأوراس ما بين تيفاست وماسكيلا) والتي تحتوي على ضريح الشهيد ماركلوس (Marculus) عن غضبهم و الوقوف في وجه ماكاريوس الذي أمر بجلد مبعوثي مجلس سيرتا أمام الجمهور ليطلق سراحهم في29 جوان 347م [3] و تولدت عن قرار الإمبراطور "حرب دينية" بدأت تمتد من" ثيموقادي "إلى" تيفاست" و "باغاي" مركز الدوناتيين والتي تحولت إلى ما يشبه – بتعبير مونصو" –ديانة وطنية " (Religion nationale) إلى مناطق أخرى وصارت أعداد أتباعها تتزايد وبأكثر قوة من الجماعة الكاثوليكية تدعمها في ذلك جموع المزارعين والأهالي وشدد قرار الإمبراطور على استخدام العنف ضد المتمردين وحكم بالقضاء على الحركة الدوناتية ورغم ضياع النص الأصلي للقرار ويمكن التعرف على بنوده بطريقة غير مباشرة والشروط الأساسية للقانون الذي جاء فيه :

1-يجب أن تنصهر الكنيستان المتخاصمتان في كل المدن الأفريقية في كنيسة واحدة.

2-على كل الوحدات الكنسية المنشقة أن تنحل.

3-يجب أن تعود الأموال والمعابد إلى الكنيسة الكاثوليكية.

4-منع إعادة التعميد.

5-نفي المحرضين المنشقين وخاصة الأساقفة.

---

[1] محمد دومير، المرجع السابق.ص35.

[2] محمد البشير الشنيتي، التغيرات الإقتصادية...، المرجع السابق، ص 298.

[3] شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 299.

وفي حال المقاومة فعلى المحافظين ومختلف أعوان الحكم المدنيين استخدام حق طلب القوة العمومية وتدخل الجيش، ولاحظ "أوبطا الميلي" أن مرسوم "قسطانس" قد أثار قسما من السكان ممن عايش القمع في كل من قرطاج و نوميديا وأن الكثير من الأساقفة ورجال الدين الدوناتيين كانوا قد هربوا مع الكثير من أتباعهم وحتى المدن كانت كلما اقتربت الجيوش منها إلا وخلت من أهلها ونشبت معارك طاحنة في بعض الأحيان عرفها الدوناتيون (بزمن ماكاريوس) [1].

و لما علق القرار البروقنصلي الآمر بالوحدة الدينية في قرطاج في 15 أوت 347 م قام "ماكسيمانوس" (Maximanus) أحد الدوناتيين بتمزيقه بمشاركة زميله وتم رميهما في البحر من قبل السلطات في وقت فقد فيه الدوناتيون شهيدا آخر في نوميديا وهو"ماركلوس (Marclus)" و الذي صار قبره محجا للكثير من الناس، وقامت السلطات بنفي دوناتوس القرطاجي من طرف الإمبراطور بعد تلك الأحداث وكانت وسائل تعذيب الدوناتيين متعددة إما بالرمي في الحفر السحيقة أو التغطيس في الماء والإحراق بالنار وكان الدوناتيون يستسلمون طواعية للموت في كل مكان وفاضت أرواحهم نتيجة للعذاب الذي وقع عليهم و عمت المعارك واستخدم "ماكاريوس" كل وسائل العنف والقمع ومنها النفي ومصادرة الممتلكات وتحويل المعابد الدوناتية إلى ممتلكات الكنيسة الكاثوليكية[2].

و قد كانت اضطهادات سنة 347 م رهيبة في نوميديا وتركت آثارا عميقة في نفوس الدوناتيين وهذا ما جعل أسقف سرتا "بتيليانوس" (Petilianus) يقول لخصومه من الكاثوليك في ذكرى تلك الحوادث" إن الكتاب المقدس يقول"لا تقتل أخاك وأنتم قتلتمونا... ولا تأخذ متاع غيرك وأنتم نهبتم أملاكنا واعتبرتموها ملكا لكم"[3].

[1] Monceaux P, L'Église Donatiste avant Saint Augustin, RHR T60, Ernest Leroux, Paris 1909, p 42.

[2] محمد المبكر. المرجع السابق. ص 206.

[3] محمد البشير شنيتي. التغيرات الاقتصادية...المرجع السابق. ص299.

في مقابل ذلك انعقد مجمع كاثوليكي بقرطاج في 348 م برئاسة "قراتوس (Gratus)" الذي افتتحه بالشكر لله والامتنان للإمبراطور" قسطانس "الذي تدخل بواسطة مبعوثيه لتكريس الوحدة الدينية مما يبين بأن الكاثوليك لم يخفوا ترحيبهم بتدخل السلطة إلى جانبهم وخرج المجمع بمجموعة قرارات تدين الدوناتية وتلغي وجودها ومحاكمة أساقفتها ورفض إعادة التعميد وإعادة النظر في أمر تقديس الشهداء[1].

في هذه الأثناء قام أسقف" باغاي" "دونات "والذي يصفه" أوبطا الميلي" بالمتعصب بدعوة " الدوارين" إلى توجيه نداء لحث المسيحيين الحقيقيين على الحفاظ على كنيستهم وحصن مدينته وحول أبرشيته إلى مخزن حبوب و استخدمت السلطة الكنائس للترويج والدعاية فكان رد الدوناتيين على لسان" دوناتوس الكبير" الذي صرح بأن الكنيسة ليست بحاجة إلى صدقات الحكومة وأنه على استعداد لأن يحبط مخطط الكاثوليك وطلب من الفقراء عدم قبول تلك المساعدات المقدمة من طرف الدخلاء[2].

وأمام قوة العنف الممارس من الكاثوليك عقد مجمع دوناتي في نوميديا للتدخل لوقف أعمال العنف قال عنه أحد كتاب الحركة الدوناتية – اجتمع الأساقفة وأرسلوا بالإجماع عشرة من الأساقفة الذين يشهد لهم بالبراعة ومختارين من طرف المجمع حملوا إلى" ماكاريوس "تحذيرات شديدة ليتوقف عن جرائمه التي راح ضحيتها عدد كبير من الدوناتيين في ساحة المعركة – وأدت هذه الأعمال القمعية إلى ازدياد شعبية الحركة الدوناتية وابتعاد الأهالي عن الكاثوليكية و رغم أن الدوناتية قد مات الكثير من رجالها إلا أن أتباعها لم يفقدوا الأمل في المقاومة ولما توفي "دوناتوس "الكبير في منفاه سن 355م خلفه الأسقف"بارمينيانوس" (Parmenianus) كأسقف للكنيسة الدوناتية في قرطاج وتمكن من بعث الحركة الدوناتية من جديد وامتازت سياسة أبناء قسطنطين الدينية الممتدة من337 م إلى 361 م بمحاربة الوثنيين والتدخل في الشؤون الكنسية وإلغاء سياسة التسامح التي انتهجها قسطنطين[3].

---

[1] مُحَّد المبكر. المرجع السابق. ص 216.

[2] مُحَّد البشير شنيتي. التغيرات الاقتصادية...المرجع السابق. ص298.

[3] ...Monceaux Paul, Histoire littéraireOpcit,p,p221.224.

لكن هذه السياسة تغيرت إلى النقيض بعد اعتلاء الإمبراطور جوليانوس (Julian) العرش ألغى سياسة سلفه ليس لأنه نزع الامتيازات من رجال الدين الكاثوليك لكن وبحجة التسامح فجر الحرب الدينية في كل مكان وعاد المنفيون يطالبون بالحرية لكل النحل وأن تمنح الإجازات لكل البدع واستغل الدوناتيون الفرصة وأرسلوا عرائض إلى الإمبراطور طالبين منه التدخل ليمنحهم حريتهم الدينية مستندين على القانون من أجل الحق في التمثيل الدوناتي مع النحل المحصورة تحديدا أي إلغاء مرسوم" قسطانس "للوحدة والسماح بعودة المنفيين و تمكن الدوناتيون من استعادة المعابد ولذلك استجاب الإمبراطور" جوليانوس " لمطالبهم بعدما كرس الحرية الدينية في سنة 362م وإعادة تنظيم العبادة[1].

وتعد هذه المرحلة بالنسبة للدوناتيين فترة استعادة أنفاس وإعادة تنظيم لكنيستهم التي تعرضت للمصادرة والنهب من طرف الكاثوليك بعد أحداث" باغاي "وما تلاها من عنف زكته السلطة الزمنية بقراراتها ويكون الدوناتيون قد ابتهجوا بعد نصف قرن من الألم والعنف لسياسة "جوليانوس "الدينية[2].

1- ثورة الدوارين الريفية 347 م:

يبدو أن الخلاف بين الكنيستين الافريقية والدوناتية لم يقتصر على المجال الديني فقط بل انتقل إلى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وذلك يمس بظاهرة الرومنة ككل من خلال مجموعة من الثورات التي قامت طيلة القرن الرابع ميلادي وساندتها الحركة الدوناتية في حين ان الكنيسة الافريقية بقيت وفية للوجود الروماني.

وقد شكلت ثورة الريفيين هذه امتدادا للثورات السابقة منذ بداية الاحتلال وبذلك فهي امتداد لحركة المقاومة ضد الوجود الاجنبي والتي كانت تتجدد كلما تمكنت من ذلك وتوفرت لها الظروف والمسببات ولنا أن نطرح مجموعة اسئلة حول هذه الثورة التي بدأت من منطقة "ماسكولا" خنشلة بالأوراس و لماذا ظهرت هذه الثورة في هذه المنطقة بالذات.؟ وما هو مجالها الزماني والمكاني؟ وما هي علاقاتها بالحركة

[1] شارل اندري جوليان. المرجع السابق. ص-ص(298- 301).

[2] Monceaux Paul, Histoire littéraire Ibid ,p244

الدوناتية التي انطلقت أيضا من منطقة باغاي بالأوراس؟ و كيف كانت نتائجها على الوجود الروماني بالمنطقة و بالمغرب القديم ككل؟[1]

ا- تعريف الدوارين:

من الناحية اللغوية فإن الكلمة من أصل لاتيني مركبة من جزئين:" circum" و"Cella" و" circum" بمعنى دائر حول أما الجزء الثاني "Cella" مستودع المؤن (من زيوت أو خمور أو حبوب) وبهذا المعنى فإن الدوارين كانوا أولئك الذين يدورون حول الأهراء بحثا عن القوت أو بتعبير أوضح هم الذين يترصدون المزارع خصوصا المعزولة بهدف نهبها وهناك رأي يذهب الى ان الدوارين كانوا رهبانا يتجولون بين الاديرة وبالتالي فإن المقصود بالجزء الثاني"Cella"يعني " بيت الراهب"[2].

وهكذا فان الاختلاف قائم حول تحديد مفهوم دقيق لحركة الدوارين الريفية ويرجع ذلك الى تعدد الاراء حول ماهيتهم فمن هم الثوار الريفيون؟ هل هم مجرد عصابات متمردة تطوف حول المزارع ومخازن الحبوب وتمارس عمليات النهب والسلب والحرق كما صوّر ذلك الكاثوليك ومختلف القوانين الإمبراطورية الصادرة ضدهم أم هم جماعات من الرجال يتنقلون عبر البلاد ويزرعون الخوف والذعر في النفوس قاعدتهم تيموقادي و منها ينطلقون ليلا للنهب والسرقة في أرجاء البلاد[3].

أم هم مجموعات من المتشردين المتنقلين من مكان إلى آخر ام هم من قطاع الطرق المتواجدين في كل مكان وفي كل مدينة في بلاد المغرب القديم ام هم أهالي لا يتكلمون بغير البونية من العبيد الفارين من المعمرين ومن الكاثوليك ام هي اوصاف تهدف إلى احتقار هؤلاء الثوار وإفراغ حركتهم من أبعادها

[1] مُحَمَّد دومير، المرجع السابق، ص 33.

[2] مُحَمَّد المبكر. المرجع السابق. ص85.

[3] Monceaux Paul. H. C. A. C. Opcit. P.180.

الأساسية في المقاومة في إطار الصراع القائم ما بين الأهالي والنظام الروماني أم هم جنود المسيح" Miltes Cristi" كما سماهم الدوناتيون[1].

ولقد سموا قادتهم بالزعماء القدسيين Duces Sauctarum وهاتين التسميتين الأخيرتين كانتا بعد التحالف مع الحركة الدوناتية في سنة 347 م خلال فترة الاضطهادات الثانية، وليطلق عليهم أيضا صفة مقاومو بُناة الوحدة Operarii Unitatis وهي صفة ظهرت بعد حملة" بوليوس" و" ماكاريوس "لعام 347م بعد القرار الإمبراطوري الرامي إلى فرض الوحدة الدينية وما تلاه من مجازر في صفوف الأهالي الرافضين لتدخل السلطة في الأمور الدينية كما عبر عنه "دوناتوس"ما الذي يجمع الإمبراطور بالكنيسة" ام هم الطوافون حول أضرحة الشهداء ؟ لما يحمله هذا المدلول من معنى ديني محض بعد الارتباط بالحركة الدوناتية [2].

ومن خلال هذه المدلولات الاسمية للثورة الريفية نلمس تطور هذه الثورة وارتباطها بالظرف الذي وجدت فيه كما نلمس أيضا وصفين مختلفين الأول الذي درج أصحاب الجدل الكاثوليك على إدراجه بهدف تصوير هذه الثورة بأنها لا أخلاقية ولا إنسانية تسعى لأجل ترويع الناس وسلب ممتلكاتهم وبالتالي تنفير الأهالي من الاقتراب منها كما نلمس إقرارا ضمنيا بقوة انتشارها من خلال الاعتراف بوجود هؤلاء الثوار في كل مكان وفي كل مدينة وشموليتها وامتدادها الزمني[3].

و المدلول الثاني هو مدلول محلي أطلقه هؤلاء الثوار على أنفسهم أو أُطلق عليهم من قبل الحركة الدوناتية وهو أيضا مدلول إغرائي هدفه إعطاء بعد روحي للحركة الثورية لاستمالة الأهالي خاصة بعد سلسلة اضطهادات مبعوثي الإمبراطور الذين ارتكبوا مجازر رهيبة كما مر بنا خلال سنة 347 م، و على العموم فالرومان استخدموا الدعاية لتشويه صورة هذه الثورة في رأينا على أن هؤلاء الثوار الذين يطوفون في كل

[1] مُحَّد المبكر. المرجع السابق. ص-ص.(94-95).

[2] مُحَّد البشير شنيتي. اضواء على تاريخ الجزائر القديم....المرجع السابق.ص. 182.

[3] مُحَّد البشير شنيتي. التغيرات الاقتصادية والاجتماعية.... المرجع السابق.ص. 302.

البلاد يرهبون الملاكين ويبعثون برسائل التهديد إلى الدائنين وأن الطرق لم تعد آمنة، وعصاباتهم تتكون من المجرمين الذين يعيشون على السلب والاغتيالات وهي ادعاءات لا تخلو من شتائم تجاه هذه الثورة التي اتخذت هي الأخرى دعاية مضادة على أنها ثورة مقدسة أو ثورة القديسين لتكتسب في صفوفها تعاطف الأهالي وعلى العموم فان هذه الثورة الريفية حملت المدلول العام إذ أن غالبية الأهالي يسكنون الأرياف أو من الرحل المتنقلين في حين نجد البعض منهم والذي يشتغل في بيوت الأغنياء يسكنون أطراف المدن [1].

فهي ثورة ريفية لأنها لا تستند إلى خلفية اثنيه قبلية معينة ولا إلى جهة جغرافية ضيقة بل ثورة عارمة ممتدة ومتزامنة قام بها الأهالي بقيادة فئة العمال الأحرار)والذين يعد قاسمهم المشترك هو البؤس ومعاداة الأجنبي الذي يمارس عمليات النهب والاستغلال البشع للأرض والإنسان كما تشكل استمرارية للثورات السابقة خلال القرن الثالث للميلاد[2].

وكانت ثورة الريفيين حربا طبقية ضد الأوضاع السيئة التي كانت كنتيجة للاستبداد السياسي وما خلفه من ضيم اجتماعي وسيطرة للطبقة الثرية المهيمنة على الموارد الاقتصادية والمدعومة من السلطة الرومانية في الوقت الذي يعاني فيه الأهالي من تردي الأوضاع المعيشية مما جعلهم كثيري الترحال بحثا عن العمل[3].

ب – أسباب و دوافع اندلا ع ثورة الدوارين الريفيين:

ساهمت سياسة الاستغلال الاقتصادي والاجتماعي للاستيطان الروماني في ازدياد حدة البؤس والشقاء في صفوف السكان الأهالي وألحقت تلك التحولات ضررا كبيرا بهم خاصة وان روما عملت على

[1] محمد المبكر. المرجع السابق. ص–ص.(96-97).

[2] محمد البشير شنيتي. اضواء على تاريخ الجزائر القديم....المرجع السابق.ص.86.

[3] محمد البشير شنيتي. التغيرات الاقتصادية..... المرجع السابق.ص–ص.(308 -309).

امتصاص الإنتاج الريفي وتوجيهه لخدمة الجاليات الأجنبية في البلد أو لتصريفه نحو روما وأصبحت المنطقة مطالبة بتزويد روما بحاجياتها [1].

وبعد إقامة "خط الليمس الثاني "استغل السكان المناطق المهجورة في المناطق الضيقة ليزداد الضغط الاجتماعي حدة خاصة وان البدو المرابطين بالجنوب النوميدي الذين طردوا من مناطقهم التي عمّها الاستيطان كانوا يعيشون حالة تأهب لاختراق "خط الليمس" والعودة إلى بلادهم[2].

في وقت كان فيه سكان المناطق الوسطى من الحضنة إلى سهول القيروان يهتمون بتربية الحيوانات التي بقيت المصدر الرئيسي للمعيشة مما جعلهم في ترحال دائم من أجل البحث عن المراعى في المناطق التليّة المجاورة صيفا حيث تنتشر المراعى إضافة إلى المياه ولم تكن الزراعة تحظى بأي نصيب فيما عدا الزراعة المقاومة للجفاف كالزيتون واللوز وتشابهت الوضعية الاقتصادية في هذه المنطقة الممتدة من الحضنة إلى السهوب التونسية[3].

أما المناطق الغنية بالمراعى والتبن فهي مناطق الشمال والحصائد المزروعة التي كانت تستلزم عددا من اليد العاملة في فترة حصاد الحبوب وتحول سكان المناطق الشمالية إلى عمال أجراء في أراضيهم بعد أن أستولي عليها الرومان بل وفرضت عليهم الضرائب[4]، وساهمت الوضعية الجغرافية بدون شك في تقسيم المغرب القديم ذلك أن المناطق المستعصية على الرومان شكلت قلعة للمنشقين منذ اضطهادات "

[1] مُحَمَّد البشير شنيتي. أضواء على تاريخ الجزائر القديم. المرجع السابق.ص 182.

[2] مُحَمَّد البشير شنيتي. الجزائر في ظل الاحتلال الروماني.(بحث في منظومة التحكم العسكري " الليمس " الموريتاني ومقاومة المور). ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1999. ص. 314.

[3] مُحَمَّد المبكر. المرجع السابق. ص.102.

[4] مُحَمَّد المبكر.المرجع نفسه.ص.85.

دقلديانوس" كما أن الحقد على النظام الإمبراطوري الاستغلالي قد ساهم في إيجاد كتلة شعبية معادية في المغرب القديم تركزت أساسا في منطقة نوميديا ووجدت موضعا لها في قدم الأوراس[1].

إذ ظلت تكيل الضربات للوجود الروماني طيلة قرن ونصف تقريبا ولا أدل على ذلك من تحطيم المعابد والحمامات في منطقة تيموقادي من طرف الرعاة الذين خاضوا حربا ضد أعدائهم الكاثوليك وضد السلطة، وبدت الحالة الاجتماعية تتصف بالبؤس الذي عمّ وصار أكثر انتشارا من منتصف القرن الثالث وهو البؤس الذي أوصل إلى حالة الاستياء العام لدى مجموع السكان الذين تضرروا من الحالة الاقتصادية المزرية التي يعيشونها[2].

وصارت هذه الطبقة ذات الأصول المتباينة اجتماعيا والمتقاربة اقتصاديا تشعر بالغبن الناتج عن طغيان فئة الأغنياء المتحكمة بأمور السلطة وتمكنت من خوض ثورة اختلفت أسماءها إلا أنها اشتهرت باسم ثورة الدوارين"Cellas Circum" ويتهم أعداؤها أعضاءها بأنهم من قطاع الطرق واللصوص الموجودين في كل مكان و الذين يستولون على حقوق غيرهم وهى شتيمة رومانية بلا شك غذتها الدعاية الكاثوليكية[3].

ولم يكن هؤلاء الريفيون يمثلون جهة أو قبيلة بعينها بل اعتبروا أنفسهم رجالا أحرارا هيكلهم الاجتماعي سكان المغرب القديم وهم فئة من العمال الزراعيين يتتابعون من منطقة إلى اخرى شكلوا مجموعات دفاعية وهجومية ضد المحتكرين وعليه فإن منطلقهم الأساسي في البداية لم يكن دينيا فيما نتصور بل كان منطلقا اجتماعيا اقتصاديا بين فئتين رومانية أو مترومنة متحكمة في الاقتصاد والمعاش وفئة كادحة فقيرة منهوكة بالكاد تحصل على قوتها[4].

---

[1] Gsell (St). L'Algérie dans L'antiquité. imprimeur.libraire éditeur. Alger 1903.p-p. (108- 110).

[2] Martial (douel). L'Algérie romaine. Paris. 1930.p. 30.

[3] محمّد البشير شنيتي. التغيرات الاقتصادية والاجتماعية... المرجع السابق. ص.301.

[4] Saumagne (ch). « Ouvriers agricoles ou rodeurs de celliers ? Les Circoncellions d'Afrique ». A.H.E.S. T .IV.1934.P.360.

في وقت عرفت فيه الإمبراطورية أزمات اقتصادية إذ انقطعت التجارة وضعف الإنتاج وتضررت طبقة الفلاحين الذين يرتبطون بالأرض التي لا يمتلكونها وأهلكتهم متطلبات الملاكين دون أن ننسى السياسة القمعية التي طبقها الأباطرة الرومان ضد الأهالي وبالخصوص منذ أن أتيحت لهم السيطرة على المنطقة وخاصة خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد حيث ازدادت عمليات الاستغلال الاقتصادي وتجلى ذلك من خلال إقامة العديد من المخازن في المغرب القديم التي تخزن فيها المنتجات الزراعية التي تصل عن طريق التجار الذين يشترونها من الأهالي أو عن طريق الضرائب العينية المفروضة على السكان خاصة القمح والتي يوصلونها بأنفسهم إلى تلك المخازن[1].

و كان معظم السكان لا يستهلكون إنتاجهم الذي كان يصدر إلى روما ويكتفي الفلاح و عائلته بالمحاصيل الثانوية في وقت كان اغلب السكان يعانى من مصاعب الحياة ومن الإجراءات الاقتصادية والعسكرية التي اتخذتها السلطة الرومانية ضدهم من طرد ومصادرة الأراضي ضف إلى ذلك استغلال الطبقة الأرستقراطية الرومانية لجهد العمال الذين كانت تعاملهم كالعبيد وتستغلهم لتتسع الهوّة الاجتماعية ما بين الطرفين ولم يعد الأجراء اليوميين يجدون فرصا للعمل بسبب تزايد عددهم منذ القرن الثالث للميلاد[2].

ج – العلاقة بين الحركة الدوناتية و ثورة الدوارين:

حاول المجادلون الكاثوليك الذين تناولوا حركة الدوارين تصويرها على أنها حركة بشعة يقودها مجرمون لا إنسانية لهم ولا شفقة في قتل ضحاياهم والتنكيل بأجسادهم وأنها تشكلت من عصابات الصعاليك التي أحلت الذبح ونشرت الذعر وهو تحامل يهدف إلى لفت النظر عن أعمال الطرف الروماني والكاثوليكي

[1] محمد المبكر. المرجع السابق. ص-ص.(82-83).

[2] محمد المبكر.المرجع نفسه. ص76.

في منطقة المغرب القديم القائمة أصلا على الاستغلال بكل أنواعه محاولين إيجاد المادة التي تصلح لصياغة خطبهم وكيل التُهم لخصومهم الدوناتيين الذين يحملونهم المسؤولية في ذلك[1].

وإن كانت الثورة الريفية قد وجدت في الحركة الدوناتية السند الديني الذي ظل معاديا للسلطة الزمنية الداعمة للكنيسة الرسمية فإن الحركة الدوناتية نفسها قد وجدت في ثورة الريفيين السند الشعبي لتحمل عبء الدفاع عن الطبقات الكادحة المغلوبة في المنطقة وان أغفل المجادلون الكاثوليك تاريخ بداية وتطور الثورة الريفية إلا فيما عدا بعض الإشارات الخفيفة إلا أنهم يركزون على الارتباط الدوناتي بثورة الدوارين والتي يحملونها في الغالب إلى سببين أساسين الأول ديني والثاني اقتصادي واجتماعي[2].

والدافع الأول يرجعونه إلى الصعوبات الدينية للحركة الدوناتية بوصول مبعوثي الإمبراطور أو بناة الوحدة والثاني يرجعونه إلى المصاعب الاقتصادية المهددة وحالة البؤس العام في" باغاي "ومعاناة سكان الأرياف الذين صاروا مهددين بالمجاعة و هو تعليل لا يخلو من تحامل كذلك ينم عن محاولة لتفسير الحكم بفشل الحركة الدوناتية وعدم قدرتها على مسايرة الأحداث الناجمة عن حركة الاضطهاد ومن جهة أخرى بمحاولة تقزيم الثورة الريفية على أساس أنها ثورة جياع بدأت تنتظم وتتسع[3].

والمهم في ذلك أن الحركة الدوناتية بتحالفها مع الدوارين قد بدأت تتجه إلى التحرر بعد الانشقاق الديني وأصبح بذلك الخلاف الديني صراعا اجتماعيا قائما على التمايز الاقتصادي والاجتماعي و الملفت أن الثورة الريفية لم يتم التعرض إليها إلا بعد التحامها بالحركة الدوناتية سنة 347 م فيما عدا إشارة من "اوبطا الميلي "على أن حركة التمرد قد ظهرت فيما بين سنتي (330م- 340م) نتيجة البؤس مما جعل

[1] مُحَمَّد المبكر. المرجع السابق. ص-ص.(233-234).

[2] مُحَمَّد البشير شنيتي. اضواء على تاريخ الجزائر القديم.... المرجع السابق. ص. 182.

[3] مُحَمَّد البشير شنيتي. التغيرات الاقتصادية.... المرجع السابق. ص. 311.

العمال الزراعيين يثورون في نوميديا ولم تكن ذات مقاصد دينية في البداية رغم أن الكاثوليك أرادوا أن يُحَمِلُوا الدوناتيين مسؤولية ذلك[1].

ويذكر"أوبطا الميلي" أن الأساقفة الدوناتيين وجهوا نداءً عقب أحداث سنة 340 م إلى الدوق الأفريقي من أجل كبح جماح الدوارين وطلبوا من الدوق" طورنيوس Taurinus"إعادة هؤلاء إلى الطريق السوي مما جعل الدوق يرسل جنوده إلى الأسواق التي يتواجد بها الدوارون وحدثت مجزرة في قرية" أوكتافا " Locus Octavensis "ومات عدد كبير كما جرح عدد أخر و هذا يعني أن الحركة الدوناتية بحسب هذه الرواية لم ترتبط بعد بثورة الدوارين وأنها تأثرت من هذه الحركة الاجتماعية هذا إذا أخذنا بهذه الرواية فإن الكنيسة الدوناتية قد أختلف رجالها في النظرة إلى هذه الفئة نظرا إلى قتلى تلك المصادمات وأن البعض من الدوناتيين رفض دفن هؤلاء القتلى داخل الكنيسة و منهم" كلاروسClarus "كاهن قرية "سيبلوني" Locus Subbulensi" الذي عارض أسقفه ورفض ذلك على اعتبار أن الدفن محرم في بيت الله[2].

ونتج عن الخلاف الدوناتي حول ضحايا تلك المصادمات بداية ارتباط وتلاحم ما بين الدوناتية و الثورة الريفية لأن مبشري الدوناتية كانوا أكثر تلاحما وصلة بالريف كما كانوا أكثر إطلاعا على حقيقة الدوارين فتعاطفوا معهم ووقفوا إلى جنبهم في محنتهم بقرية" أوكتافا "على عكس أساقفتهم الكبار الذين تكون مصالحهم قد تأثرت من طرف الدوارين وأدت مذبحة "أوكتافا "إلى ازدياد أتباع الدوارين ومنهم من التجأ إلى الجبل ونستخلص من ذلك أن أحداث أكتافا قد مثلت نقطة تحوّل أساسية في تاريخ الحركة الدوناتية في شقها التحرري وارتباطها بمحيطها وأن القمع لم يقض على الدوارين بل زادهم عزيمة وإرادة

[1] محمد المبكر.المرجع السابق.ص-ص.(179-180).

[2] محمد المبكر. المرجع السابق. ص.193.

وقوة بانضمام أعداد جديدة متضررة وبذلك حدث تحالف طبقي ما بين مظلومين و مضطهدين لم يكن لهم في البداية أي مسعى سياسيي حسب"مونصو".[1]

ولكن تعاطف الدوناتيين خلال أحداث 340 م قد تحول إلى ارتباط واحتواء في سنة 347 م بعد أن وجه "دوناتوس "في" باغاي "دعوة إلى هؤلاء الدوارين لمقاومة مبعوثي الإمبراطور "بوليوس" و "ماكاريوس "وأحتاط للمعيشة بأن حول كنيسته إلى مخزن للحبوب Metatores وبدأت الثورة الاقتصادية الاجتماعية تأخذ بُعدًا دينيًا بعد أن أطلق الدوارون على أنفسهم صفة جنود المسيح و على قادتهم صفة الرؤساء و كانت صرختهم في الحرب الثناء على الله" الحمد لله" DeoLaudes "والتي قال عنها" أوغسطين "لقد كانت مخيفة كزئير الأسود"[2].

ووقفوا ضد بناة الوحدة المكلفين بتطبيق القرار الإمبراطوري لتكريس الوحدة الدينية مما جعل "أوبطا " يصفهم بأعداء الوحدة "AnteUnetaten " و مندفعين إلى الاستشهاد ولإعطاء بعد ديني لحركتهم لارتباطها بالحركة الدوناتية استخدموا سلاح العصي الطويلة في حربهم معتمدين على النص الديني" من يضرب بالسيف يهلك بالسيف" وعدوا قتلاهم من الشهداء الجديرين بالتقديس[3].

حيث حملت النقوش التي عثر عليها في العديد من مناطق مقاطعة نوميديا وموريطانيا أسماء أولئك الشهداء ومنها نقيشة وجدت بالمنطقة الشمالية لجبال الحضنة حملت اسم شهيدين من هؤلاء الثوار هما "كاستوس Castus" و"فلورس Florus"كما حمل ختم وجد في"فرجيوة"ما بين ملاف و كويكول سطر نقش عليها العبارة الكاملة" لله الحمد Deo laudes " وهذه العبارة وجدت منقوشة أيضا بنواحي "ماسكيلا" في" هنشير بوسعيد "ما بين " تيفاست "و"ماسكيلا" وفي" باغاي" وتحولت الكنائس والمعابد التي حوت قبور الشهداء إلي محج للأهالي حيث تقام المراسم والولائم، وعلى العموم فان الدوناتية أعطت

[1] مُحَمَّد البشير شنيتي. التغيرات الاقتصادية... المرجع السابق. ص.312.

[2] محمد البشير شنيتي. المرجع نفسه. ص. 313.

[3] Monceaux Paul. H.L.A.C. Opcit.P.181.

الثوار الريفيين طابع التقديس وأدرجت موتاهم في قائمة الشهداء وأعطت لزعمائهم صفة الطهر بعد أن كانت أعمالهم تنعت بالوحشية ويوصف رجالهم بالمتمردين و العصاة[1].

د – الاطار الجغرافي لانتشار حركة الدوارين في بلاد المغرب القديم:

من خلال العلاقة التي نشأت بين حركة الدوناتية وثورة الدوارين فإن هذه الاخيرة كانت تنتشر بشكل كبير في نفس المناطق التي انتشرت فيها حركة الدوناتية نظرا للدعم والترابط الذين جمعا الأساقفة الدوناتيين والدوارين[2] بل ان بعضهم دعاهم لمواجهة القوات الرومانية مثلما حدث في باغاي سنة 347م حينما تحالف الطرفان ضد البعثة الرومانية التي جاءت لحث الدوناتيين على استعادة الوحدة الدينية[3].

ونظرا للأحداث الكبيرة التي عرفتها باغاي منذ نشأة حركة الدوناتية وظهور حركة الدوارين خصوصا أنها تحولت كمعقل لهم من حيث الاجتماعات لمواجهة القوات الرومانية مما يجعل منها مركزا هاما لهم اضافة الى باغاي نجد تيمقاد كمركز اخر للدوارين وهي المدينة التي دعمت ثورة جيلدون بشكل كبير بسبب تواجد الدوارين بها[4] وبكون باغاي و تيمقاد مركز الدوارين في بلاد المغرب القديم فيرجع الى ارتباطهم بالحركة الدوناتية وهذا ما يجعل من مناطق اخرى تمركزوا بها بشكل كبير من بينها ثيفاست ومادورو وفيغسيلا و ونقرين وتاغاست وهيبون وقالمة ولامبيز وخنشلة وهي مناطق معروفة بمحاصيل الزيتون[5].

وهو ما يفسر ان استعمال الدوارين لهراوات ذكرتها المصادر القديمة خلال القيام بهجوماتهم لم تكن سوى هراواتهم التي استخدموها خلال عمليات جني الزيتون وحتى عمليات الدوران التي قاموا بها كانت حول

[1] Monceaux Paul. H.L.A.C.Ibid.P-p.(439-442).

[2] Monceaux Paul, Histoire littéraire Opcit, p 81

[3] Monceaux Paul, Histoire littéraire Ibid,p125

[4] محمد المبكر.المرجع السابق. ص103.

[5] Albertini eugene. Opcit. P126

مخازن الزيت[1] ولما تعاضمت قوتهم تطور استخدامهم لأسلحة اخرى كالسيوف والشواقير والحراب وتشكلت لديهم فرق ومجموعات مسلحة[2].

وامتد انتشارهم في المناطق الداخلية ويربطهم الباحث مُحَّد المبكر بالريف النوميدي وخصوصا ان الدوارين كان اغلبهم يعملون في ضيعات لكبار الملاك وكانوا في واقع الامر عبارة عن عمال موسميين يشتغلون في المزارع الكبرى خلال فصل الجني والحصاد وحسب اوغستين فان حركة الدوارين لم تشمل الارياف فقط بل امتدت حتى المدن فلم تكن امنة بسبب العنف الذي ارتكبوه كما يظهر من خلال مساندة اساقفة قرطاج الدوناتيين لحركة الدوارين امتداد حركتهم هناك رغم ان صيتها لم يكن بالشكل الموجود في المقاطعات الاخرى[3].

- **ثورة فيرموس والحركة الدوناتية (372م-375م):**

يبدو أن حركة الثورة التي عمت أرياف نوميديا زحفت غربا لتصل إلى مقاطعة موريتانيا القيصرية وكان الأهالي هناك قد احتموا بجبالها منذ أن اكتسح الاحتلال الروماني بلاده واستولى على الأراضي السهلية الخصبة، وقد كانت المناطق الجبلية الممتدة من زكار و الظهرة و الونشريس غربا إلى البابور شرقا قواعد خلفية وملجأ الشعب الذي قهره الاحتلال ردحا من الزمن منذ أن خبت نار الثورة التي الهبها الثائر تاكفاريناس[4].

ظلت القبائل الأهلية في هذه المناطق الجبلية تعيش في إطار أعرافها ونظمها بل إن المصادر الرومانية تتحدث عن ملوك آهلين مما يعني قدرا كبيرا من الاستقلال في مناطق لم تتغلغل فيها الرومنة، ومن هناك كان الأهالي يتحينون الفرص لاسترداد كرامتهم ووطنهم.

[1] مُحَّد المبكر.المرجع السابق. ص103

[2] مُحَّد المبكر.المرجع نفسه.ص 139.

[3] مُحَّد البشير شنيتي. التغيرات الاقتصادية....المرجع السابق.ص 304.

[4] مُحَّد الصغير غانم وآخرون، المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص416.

وتوالت الاحداث وتوسع نطاق حركة الدوارين إلى خارج نوميديا التي مارست كفاحها ضد المزارع والممتلكات الرومانية، مما جعل الأهالي في الجبال التلية (جرجرة) يعلنون العصيان والتمرد ثم الثورة على هذا الاحتلال الذي دب فيه الضعف ولذلك كان النهب والسلب لخيرات البلاد من بين الاسباب التي أدت الى ظهور ثورة عارمة يقودها الثائر النوميدي فيرموس ابن الملك البربري نوبيل في سنة 372 م[1].

كذلك رغبة القبائل المورية في التحرر والتخلص من الهيمنة الرومانية والتي رأت في ثورة فيرموس أمل الخلاص خاصة بعدما اصبح الكونت رومانوس القائد الأعلى للمقاطعات القيصرية عاجزا عن الوقوف في وجه فيرموس وفرض سلطته المعنوية على قوته العسكرية سواء في المقاطعات القيصرية أو في المقاطعات الأخرى وكذلك تطلع بعض الأمراء المحليين التابعين لروما الى الانفصال عن السلطة الرومانية والاستئثار بالحكم[2]، إضافة الى المشاعر الدينية لفيرموس في مناصرته للمذهب الدوناتي وانطلاقا من ذلك طلب من الدوناتيين مناصرته وتحقيق تحالف بين الكثير من القبائل البربرية، فقد ناصر الدوناتيون "فيرموس" ووجدوا في ثورته القوة التي تربك الاحتلال وتوزع قواه والدليل على التلاحم بين الحركة الدوناتية و"فيرموس" هو ان الدوناتيين في موريتانيا القيصرية أطلق عليهم لقب "الفيرمانيين"[3] حيث هلل له رجال الدين وجندوا لحسابه الكنائس الدوناتية التي دعمته ماديا ومعنويا بشهادة "اوغستين" الذي اتهم الدوناتيين بأنهم كانوا جنودا مخلصين لفيرموس وانخرط معه الثوار الريفيون كفئة اجتماعية متجانسة وكان لهذا الاندماج بين القوى الثورية الثلاثة اثر بالغ في نجاح ثورة "فيرموس" وسيطرته على الوضع في البلاد حتى سنة 375م[4].

---

[1] سليمان عشراتي. الشخصيات البربرية. ج1. دار الغرب للنشر والتوزيع. الجزائر. 2002م. ص57.

[2] شارل أندري جوليان. المرجع السابق. ص 302.

[3] محمد الصغير غانم وآخرون. المرجع السابق. ص417.

[4] محمد البشير شنيتي. أضواء على تاريخ الجزائر القديم.. المرجع السابق. ص185.

وتمكنت روما من اخماد هذه الثورة وبذلك تلقت الحركة الدوناتية ضربة موجعة فقللت من نشاطها وقد ساعد روما في القضاء على ثورة "فيرموس" سلاح الخيانة الذي استعملته وسياسة تأليب رؤساء القبائل على بعضهم وخلاصة القول أن فشل "فيرموس " لا يعني نجاح السلطة الرومانية في فرض سيطرتها على بلاد المغرب القديم بحيث لم تكد تمضي سنوات على قمع هذه الثورة حتى اندلعت ثورة اخرى يقودها هذه المرة "جيلدون"[1].

– ثورة جيلدون والحركة الدوناتية (396م–398م):

أدى استمرار حالة التوتر التي عرفها المغرب القديم بعد ثورة "فيرموس"بسبب استمرار الاضطرابات الاجتماعية والسياسية التي صاحبت الصراع الديني الذي كان لا يزال قائما بين الدوناتيين والكاثوليك، ونظرا للخدمة التي قدمها "جيلدون" للرومان في القضاء على أخيه "فيرموس"الامر الذي أدى بروما الى مكافئته حيث عينه الامبراطور قائدا لجيش افريقيا سنة 386م[2].

وقد بقي القائد العسكري وفيا لروما حتى سنة 393م وابتداءا من هذا التاريخ سيبدا في الكشف عن نزعته الاستقلالية حيث رفض تقديم المساعدة التي طلبها منه "تيودوز" سنة 394م عندما دخل هذا الاخير في حرب ضد "أوجان"، ولما مات "تيودوز" وانقسمت الامبراطورية بين ولديه" هونوريوس" غلى القسم الغربي و"أركاديوس" على القسم الشرقي، استغل "جيلدون" الصراع الذي ظهر بين الاخوين لأجل مناطق النفوذ ليعلن سنة 395م تبعية شمال افريقيا الى "أركاديوس"امبراطور الشرق وكان "جيلدون" مسيطرا على الوضع وكان بإمكانه التسبب في مجاعة لروما بامتناعه عن ارسال الحصة السنوية من القمح فثار في خريف سنة396م و أبى ارسال تلك الحصة[3].

---

[1] . مُحَمَّد البشير شنيتي. المرجع نفسه.ص186

[2] مُحَمَّد مبارك الميلي. تاريخ الجزائر القديم والحديث.ج1. ط3.المؤسسة الوطنية للكتاب.الجزائر. ص–ص (310-311)

[3] عبد الرحمان بن مُحَمَّد الجيلالي.تاريخ الجزائر العام. ج1. ط2.مكتبة الشركة الجزائرية. لجزائر.1965. ص100.

لقد كان لمنع تصدير القمح الى روما وقع كبير في مجلس الشيوخ وبث الرعب وسط المجتمع الروماني لكن "ستيليكون" الوندالي وهو صاحب السلطة الحقيقي في امبراطورية الغرب تلافي الخطر بمصادرته قمح غاليا واسبانيا ثم كسب تأييد مجلس الشيوخ لتجهيز جيش وإعلان الحرب على "جيلدون"، وتوخت روما سياسة تعتمد على الخلافات بين قوات البربر وكما ان "جيلدون" اوحى الى "تيودوز" بالخطة لمقاومة "فيرموس" فان "مقزيل "البربري قاد هو بنفسه الجيوش التي ارسلتها روما ضد أخيه "جيلدون"[1].

وقد ساهم في حركة "جيلدون" اساقفة دوناتيون مشهورون امثال "أوبطا" التيموقادي الذي لقب بالجيلدوني دليلا على تحمسه لحركة "جيلدون" والذي دعا أنصاره الى دعمها بمن فيهم الدوارين وانتشرت هذه الثورة في تيمقاد وثيفاست ومنطقة الأوراس[2].

وكان لفشل ثورة "جيلدون" سنة 398م ضربة موهنة اصابت الدوناتية والثورة الريفية فقللت من نشاطهما ومكنت الخصم من السيطرة على الموقف من دونهما الى تمت محاكمة حركة الدوناتية تحت اشراف السلطة الامبراطورية سنة 411م[3].

2- مجمع قرطاج ومصير الدوناتية 411م:

مع مطلع القرن الخامس للميلاد بدأت بوادر الوهن وقلة الحيوية تدب في أوساط الحركة الدوناتية نتيجة الإنقسامات الداخلية في أوساطها إضافة الى المضايقات والمتابعات حيث بالغت السلطة الرومانية بإنزال العقوبات عليهم إمعانا في الحد من نشاطهم السياسي الذي ساهموا فيه بفعالية خلال ثورات القرن الرابع

[1] محمد الصغير غانم واخرون, المرجع السابق. ص325.

[2] محمد الحبيب بشاري. أوضاع الامبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي، ثورة جيلدون 397- 398.مجلة الاتحاد العام لاثريين العرب. العدد.13. ص-ص(249-250)

[3] محمد البشير شنيتي. التغيرات الاقتصادية... المرجع السابق. ص316.

ميلادي دون إغفال دور الكنيسة الكاثوليكية التي ساهمت بقدر كبير في تشتيت وإضعاف الحركة خاصة بعد ظهور شخصية أسقف "هيبون " أوغستين" سنة 392م في الساحة الدينية[1].

حيث كان "أوغستين" والأساقفة الكاثوليك وراء إنعقاد مجمع ديني في قرطاج سنة 411م ما بين 1 إلى 8 جوان تحت إشراف الإمبراطور "هونوريوس" وقد أختير لرئاسة هذه الندوة السيناتور"ماركيلينوس" لحل المشكل بين الكنيستين الكاثوليكية و الدوناتية وفهم أسباب الخلاف ومحاولة توحيد وجهات النظر حيث أعطى هذا الاخير ضمانات للدوناتيين بأنه مهما كان الخلاف مع الكاثوليك فبإمكانهم العودة مع أهاليهم دون خوف وأعطى أوامر للسلطات المحلية للعمل بهذا النظام خلال فترة إنعقاد هذا المجمع[2].

وهنا نستغرب كيف أن الدوناتيين قبلوا بتعيين قاضي خاص من الإمبراطور رغم أنه من الكاثوليك ورغم أن السلطة الرومانية كانت تناصر المذهب الكاثوليكي بكل قوة بينما يذهب البعض إلى أن الحركة كانت محكوم عليها مسبقا مهما قيل عن نزاهة المناظرة فالقوانين السابقة منذ سنة 405م أدانت الحركة الدوناتية بصفتها هرطقة وخارجة عن القانون[3].

من الجانب الدوناتي حضر 279 أسقفا في مقابل حضور 286 أسقفا كاثوليكيا وهي أعداد تدل على حضور متوازن بين الطرفين وكان الناطق الرسمي للكنيسة الكاثوليكية القديس "أوغستين" الذي فرض نفسه ولعب دور المقرر وبين بأن إنتخاب "كيكيليانوس"كان قانونيا عكس ما رآه الدوناتيون وأن الإنقسام لم يكن له أي مبرر حيث كان أكثر المتدخلين في المجمع رغم قوة خصومه الدوناتيين الذين فرضوا أنفسهم في المجمع متمسكين بحججهم على أن كنيستهم هي الحق وأنهم مناصرون للضعفاء في وجه الإحتلال الروماني[4].

---

[1] شارل اندري جوليان. المرجع السابق. ص308.

[2] محمد المبكر.المرجع السابق.ص 187.

[3] Monceaux Paul. H. C. A. C. Opcit. P. 80.

[4] Saint Augustin . Conférence avec les donatistes. Traduction Raulx M. Bar-Le-Duc L. Gueérin & Cie. Tome XIII. France.1869. pp 71-72.

وفي ختام الندوة نطق رئيس الجلسة بأحكام ضد الدوناتيين وأوضح "مارسيلينوس" السبل المعروضة للدوناتيين أنه في حالة رجوع المنشقين إلى الكنيسة الرسمية فبإمكانهم الاحتفاظ بمناصبهم بينما الذين يصرون على الانشقاق فهم ملزمون بمغادرة الكنائس في الحال وتتخذ إجراءات صارمة في حالة المخالفين لسلطة هذا القرار ويلزم جميع المعنيين بتنفيذ هذه القرارات ويعلق "شارل اندري جوليان" «:لقد وجد الدوناتيون انفسهم أنهم ليسوا في ندوة لكن أمام محكمة يرئسها الوالي الروماني "مارسيليانوس" الذي يعتبر كاثوليكيا متعصبا يتهمونه بعديم الذمة ومن غير شك فإن الوالي كان يتصرف بنصائح أوغستين»[1].

- **نتائج مجمع قرطاج:**

يكتسي هذا المجمع أهمية كبيرة بالنسبة للصراع الجدلي داخل الكنيسة الإفريقية لأنه أعطى فرصة لإلتقاء المذاهب المعارضة وجها لوجه امام الامبراطورية الرومانية ورغم فسح المجال في هذا المجمع لكل طرف بتقديم وجهة نظره في نقاط الخلاف إلا أن سير الجلسات لم يكتمل في الأخير بسبب دعوة أوغستين السلطات الرومانية بالتدخل وإعتقال الدوناتيين وهو ما يفسره "عثمان سعدي"سياسة لجأ إليها الكاثوليك بعد أن اقتنع عدد منهم بالحجج الدوناتية فعادة من لا يلتزم بأدب الحوار يلجأ في حالة فشله عن مقارعة خصمه إلى أساليب السب والعنف ليعوض به النقص[2].

وكان الحكم النهائي بتجريم المذهب الدوناتي وإعتبار الحركة الدوناتية هرطقة ومصادرة كنائسها لصالح الكاثوليك وهو ما بينته القوانين اللاحقة مثل قانون 30 اوت 414م الذي حث بروقنصل افريقيا على إعادة تطبيق الإجراءات السابقة التي أتخذت ضد الدوناتيين وسار على هذا النهج كل اباطرة القرن

[1] شارل اندري جوليان. المرجع السابق. ص389.

[2] عثمان سعدي. الاب دونا، رجل الدين المسيحي المغاربي المناضل. حولية المجمع. مجمع اللغة العربية. طرابلس. العدد06. 2008م.ص228.

الخامس ميلادي ويمكن القول أن مجمع قرطاج وضع حد لكل محاولات التقريب بين الكنيسة الدوناتية من جهة وخصومها الكنيسة الكاثوليكية والسلطة الرومانية من جهة أخرى[1].

تعد الفترة الممتدة ما بين محاكمة قرطاج إلى نهاية المسيحية في افريقيا هي المرحلة الاخيرة من تاريخ الدوناتية وعليه فإن مجمع قرطاج الديني وما تمخضت عنه من إدانة للمذهب الدوناتي وأتباعه والإجراءات القمعية ضدهم من السلطة الرومانية ومن ورائها الكنيسة الكاثوليكية كانت من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى ضعف وانحلال المذهب الدوناتي إلى أن سقط الحكم الروماني الذي كانت إحدى أسبابه سقوطه الحركة الدوناتية ومجيء الوندال[2].

وهذا الجدول يبين أبرز القوانين والأحكام المسبقة ضد الدوناتيين قبل مؤتمر قرطاج.

سنة إصدار القانون	مضمون القانون
23 مارس 395م	قانون هونوريوس موجه لإفريقيا فيه الامتيازات الممنوحة للكنائس ويضمن للكهنة الحماية من أصحاب البدع أو الانشقاقات
13 مارس 398م	قانون إمبراطوري لمتابعة المفترين(قد يدخل من ضمنهم أنصار جيلدون من الدوناتيين)
12 فيفري 405م	مرسوم الوحدة بين الكنيستين و أربعة قوانين أخرى ضد الدوناتية أحداها يعتبرها هرطقة
8 ديسمبر 405م	قانون موجه إلى بروقنصل افريقيا يدعوه الى تطبيق القوانين ضد الدوناتيين
13 جانفي 409م	قانون ضد الدوناتيين
بداية 410م	مرسوم إمبراطوري للتسامح مع الدوناتيين في ربوع إفريقيا
25 أوت 410م	قانون جديد يلغي مرسوم التسامح
14 أكتوبر 410م	قانون هونوريوس يأمر فيه"ماركيلنوس" بتنظيم مناظرة بين الكنيسة الإفريقية والكنيسة الدوناتية

[1] Carles Buenacasa Pérez. L'étude." Les lettres antidonatistes d'Aaugustin: le vocabulaire employé pour dénoncer les crimes des donatistes. Univercité Charles de Gaulle- Lille 3. 2011.p. 410

[2] محمد البشير شنيتي. التغيرات الاقتصادية ....المرجع السابق. ص 316.

الشكل رقم 71: القوانين والأحكام المسبقة تجاه الحركة الدوناتية قبل مؤتمر قرطاج.

المصدر: مُحَّد المبكر، شمال إفريقيا القديم، ص-ص (252-253)

جدول رقم1: يمثل تاريخ ونوع المجامع الكنسية بين الدوناتيين والكاثوليك في الفترة الممتدة مابين 392م و411م[1].

تاريخ انعقاد المجمع	مقر انعقاده	الجهة المشرفة عليه
392م	مجمع قرطاج	ماكسيمياني
(24 جوان) 393م	مجمع قبرسوسة	ماكسيمياني
(8 أكتوبر) 393م	مجمع هيبون	كاثوليكي
(24 أفريل) 394م	مجمع باغاي	دوناتي
حوالي 396م	مجمع قسنطينة	دوناتي
في حدود 397م	مجمع ميلاف (ميلة)	دوناتي
397م	مجمع تموقادي (تيمقاد)	دوناتي
(28 أوت) 397 م	مجمع قرطاج	كاثوليكي
(27 افريل) 399 م	مجمع قرطاج	كاثوليكي
(16 جوان)401 م	مجمع قرطاج	كاثوليكي
401م	مجمع روما	كاثوليكي
(13 سبتمبر) 401 م	مجمع قرطاج	كاثوليكي

[1] Monceaux Paul.H.L.A.C. T.4.P. 322.

3- الكنائس الدوناتية في موريتانيا القيصرية" ألاميليايا"Ala Mimiliaria " أنموذجا:

ترتكز الدراسات و الابحاث في التاريخ القديم عموما في الآونة الأخيرة على تاريخ المدن والبحث في خصوصياتها الحضارية لذا نشأ ما يعرف بالتاريخ المحلي أو المونوغراف الذي هو جزء من التاريخ العام حيث يبحث في الجزئيات والتفاصيل الدقيقة لتاريخ المدن، وتختص الآثار الجزائرية القديمة بخاصية توفير المعطيات النصية والأثرية للباحثين من أجل تتبع تاريخها القديم من كل الجوانب، وتعد مدينة "بنيان" الحالية بولاية "معسكر" أحد هذه المدن التي أسسها الرومان وعليه نهدف إلى تتبع نشأة المدينة الرومانية وتطورها في العصر القديم.

ا- الموقع الجغرافي "ألا ميليايا (Ala Mimiliaria)":

تقع مدينة " بنيان" في الضفة الشمالية لوادي تاغية وهي تبعد بحوالي 37 كلم جنوب شرق ولاية "معسكر" و 35 كلم شمال شرق ولاية سعيدة وهي تتمركز في القسم الشرقي لجبال سعيدة كما أنها تتوسط سلسلة الأطلس التلي الوهراني[1].

ب – أصل تسمية" بنيان":

ارتبط تاريخ مدينة "بنيان" في العصور القديمة بموقعين هما:

1. موقع محلي ليبي يسمى " تيقيت" (Tigit) ورد ذكره منذ القرن الثالث ميلادي في كتاب جغرافية رافن لمجهول وعلى ثلاثة نقوش هي عبارة عن معالم ميلية مؤرخة بالعهد الإمبراطوري الأعلى غير ان إسم "تيقيت" قد اختفى من النقوش في أواخر القرن الرابع للميلاد (395م) [2]وحل محله الإسم الروماني" ألاميليايا"، ولا يزال معنى إسم "تيقيت" مجهولا الى يومنا هذا على الرغم من محاولة بعض المؤرخين مقاربته بالإسم الأمازيغي "تيجديت"الذي يطلق على إحدى المدن التابعة لولاية "مستغانم" والذي يعني الرملية.

[1] خالدية مضوي. البنيان (Ala Miliaria) مدينة جزائرية من العالم القديم. –دورية كان التاريخية-.العدد العاشر. ديسمبر 2010. ص-ص (27-30).

[2] خالدية مضوي. المرجع السابق. ص-ص (27-30).

2. موقع لمدينة رومانية عرفت بألامليايا "Ala Mimiliaria" والتي أشير إليها في النقوش المؤرخة في مطلع القرن الثالث وفي الوثائق الكنسية لمجمع قرطاجة المنعقد في سنة 484م وقد سميت كذلك نسبة إلى فيلق خيالة ميليايا الذي عسكر بالمنطقة في عهد الإمبراطـور " سبتيموس سفيروس" (Septimus Severs)(193م- 211م)[1] او التي تعني كتيبة ألف فارس باللغة اللاتينية، وأول من كان سببا في إظهار معالمها وإبرازها من تحت الانقاض هو "روزياس" الذي كان في نزهة في منطقة البنيان عام 1895م عندما اصطدمت عربته بحجارة إكتشف أنها تحمل نقوش لاتينية.

ج- وصف مخطط المعسكر الروماني " بنيان":

تنتصب المدينة الرومانية فوق مرتفع على الضفة اليمنى لواد التاغية الذي يحيط بها من الناحية الشرقية والجنوبية، وهي عبارة عن مربع طول أضلاعه مئتين وأربعون مترا حسب تقديرات "غزيل "St Gsell" الذي خالف بذلك "دولا بلانشير" De la Blnchère" قبله الذي سبق وان قدرها بمئتين وعشرون مترا[2].

يتكون السور من جدارين متلاصقين أحدهما خارجي مبني بالحجارة المنحوتة والداخلي من الحجارة العادية، وتوجد به بوابتان واحدة في الواجهة الغربية والأخرى في الواجهة الجنوبية من السور ويحرسهما برجان دائريان قطر كل واحد منها خمسة أمتار مبنيان جيدا بالحجارة المنحوتة، داخل المدينة ينتشر عدد كبير من الحجارة على سطح الأرض بصفة عشوائية وهي بلا شك انقاض مبنى قديم لم يحدد نوعه لكنه يعود لفترة متأخرة، أما في مواجهة البوابة الغربية فكان يقع مبنى مربع يستند الى الجدار الشرقي للسور أستخدم في الاصل كقلعة لحماية المدينة ثم حول بعد مدة من الزمن إلى كنيسة بلغت أبعادها ستة وعشرون مترا طولا وستة عشر مترا عرضا في حين بلغ سمك الجدران خمسة وستون سنتيمترا، كما

[1] خالدية مضوي. المرجع نفسه. ص-ص (27-30).

[2] فاضل لخضر. بنيان القديمة ألاميليايا. مجلة منبر التراث الاثري. العدد السابع. ص 71.

أحيطت لحمايتها بسور طوله خمسة وثلاثون مترا وعرضه أربعة وثلاثون مترا وأغلقت بوابته الغربية بأسطوانة حديدية تتحرك فوق مزالق حجرية.

ويقع على بعد خمسمائة متر جنوب غرب الموقع ضريح شيد بحجارة منحوتة يعلوه إفريز ناتئ يبلغ طوله ثلاثة أمتار و ستين سنتيمترا من جوانبه الأربعة وقد عثر فيه على قوارير بها رماد محروق وقرب هذا الضريح تمر الطريق الرومانية الاتية من "تيمزيوين"(Lucu) لتدخل المدينة من البوابة الغربية وكانت عبارة عن شارع واسع أحيط فيما مضى بمعالم جنائزية اصبحت بمرور الزمن مجرد قطع متناثرة من الحجارة، ونصادف على يمين البوابة الغربية حيزا يضم قبورا مستطيلة الشكل ملتصقة ببعضها استخلص "دوبلاشير" أنها مقبرة خصصت لدفن الفقراء والمساكين يعود لفترة زمنية متأخرة عن تاريخ إنشاء المدينة.

ويظهر من ابعاد المدينة انها لم تكن كبيرة جدا إذ ان السور كان يحيط بمنطقة سكنية مساحتها حوالي ستة هكتارات على الأكثر، ومما يجدر الاشارة إليه أنه لم يكن يأوي الحامية العسكرية فقط وإنما أيضا مساكن المدنيين المجاورة لمنشآت الجيش ونصادف داخل هذه المدينة آثار الجدران ومعالم الطرق والشوارع الرئيسية التي لا تزال بارزة إضافة إلى بقايا اعمدة حجرية أسطوانية وبوابة الكنيسة التي وجدت في أعلاها حجارة عليها نقيشة اخذت من منشآت سابقة، أما خارج السور فنلاحظ انتشار أنقاض لمباني بشكل واسع حوله مما يوحي بوجود مساكن استقر أصحابها قرب المعسكر لمزاولة النشاط الزراعي لاسيما أنه عثر بين بقاياها على عدد كبير من معاصر الزيتون[1].

د- تاريخ تأسيس مدينة "بنيان":

إن تاريخ "بنيان" ألاميليايا" مجهولة كليا في الفترة السابقة حيث لم يعثر على آثار استقرار الانسان البدائي بها كما تنعدم اثار الوجود القرطاجي بها كلية ولم يرد ذكرها خلال عهد الممالك النوميدية والموريتانية ويتضح تاريخها مع بداية الاحتلال الروماني للمنطقة لكن هذا لا يعني أنها لم تكن مأهولة بالسكان قبل ذلك، ويمكن القول أن المعسكر الروماني شيد قرب منطقة عمرانية قديمة تدعى "تيديت"

[1] فاضل لخضر. المرجع السابق. ص-ص (71-72).

أو "تيجيت" وفي سنة 40م خضعت موريتانيا القيصرية وباقي المدن الى السلطات الرومانية على غرار "بنيان"[1].

وكان تأسيس هذا المعسكر أملته عدة عوامل منها انه جاء بطريق الليمس والذي شيد في عهد الاسرة السيفيرية (193م-235م) وهناك عامل اقتصادي حيث انها منطقة زراعية بامتياز تنتشر بها زراعة القمح والزيتون التي تدلنا عليها بقايا مطاحن الحبوب ومعاصر الزيتون اضافة الى رواج النشاط التجاري والصناعي كصناعة الغزل والحياكة وتربية الحيوانات، وكان النشاط العسكري حثيث بالمنطقة خلال القرن الثالث الميلادي دور في انشاء وتوسعة المدينة ومد الطرق في المناطق المجاورة[2].

واستنادا إلى النقيشة التي عثر عليها صدفة سنة 1936م في أحد المزارع قرب "بنيان" لها أهمية كبيرة في تاريخ المدينة فهي مؤرخة سنتي 293م- 305م مهداة لأعضاء الحكومة الرباعية وهما الإمبراطوران "ماكسيميانوس" و"قسطنطينوس" والقيصران "قسطنطينوس" و"قسطانس" من قبل "دايتيوس كريسكانسيوس" بمناسبة تعيينه قاضيا بلديا، واستنادا إلى هذه النقيشة فإن "بنيان" رقيت إلى صف البلدية الرومانية بدليل وجود منصب القاضيان البلديان الذي شغله أحدهما[3].

و- المسيحية في "بنيان" الاميليايا":

لقد انتشرت المسيحية بالمدينة منذ نهاية القرن الثالث ميلادي وتكونت بها جاليات مسيحية منذ السنوات الأولى للقرن الرابع ميلادي، غير انه لم يرد في الوثائق الكنسية وقوائم الاسقفيات خلال هذه الفترة ذكر عنها.

لكن من المحتمل أن أبرز أساقفتها الذي شغل وظيفته الدينية وهو "كرسكنس" لمدة 18 سنة مابين 404م- 422م قد حضر مجمع قرطاج سنة 411م ويتضح من خلال النقوش التي عثر عليها غرب

[1] خالدية مضوي. المرجع السابق. ص 28.

[2] فاضل لخضر. المرجع السابق. ص-ص.(72-73).

[3] لخضر فاضل. المرجع السابق. ص 80.

موريتانيا القيصرية كتيارت ونواحيها أن معظم المسيحيين كانوا يعتنقون المذهب الدوناتي وسيطروا على أسقفياتها سيطرة مطلقة رغم منافسة الكاثوليك لهم، وهو ما ترتب عنه مشادات بين الطرفين أما "بنيان" ألاميليايا" فقد تحولت خلال النصف الأول من القرن الخامس إلى قلعة حصينة للدوناتية في أقصى الجنوب الموريتاني[1].

وقد ترتب عن الصراع الكاثوليكي الدوناتي سقوط ضحايا من الدوناتيين وقد دلت الكشوفات الأثرية والنقوشية عن بعض أحداث ومشاهد هذه الحرب في خرائب "ألاميليايا" والتي كانت مركزا للمقاومة ضد الكنيسة الكاثوليكية حيث وجدت قبور لرفاة شهداء دوناتيين سقطوا ضحية ذلك الصراع اشهرهم الراهبة "روبا" (Robba)شقيقة "جرمانوس هونوراتوس"أسقف مدينة "حمام بوحنيفية" التي قتلت في 25 مارس سنة 434م واستحقت تلك الراهبة لقب الشهيدة، وتكريما لها أقيم معبدا بين سنتي 434م و439م وأعد لها مدفن في قبو الكنيسة من خلال نافذة يمكن للنساك رؤية قبرها و أصبح مزارا يتردد عليه الدوناتيون.

بينما دفنت بجوارها جثامين القائمون على الكنيسة الدوناتية حيث تضمن سرداب كنيسة"بنيان"أقبية بها رفاة العديد منهم حيث وجدت قبور الأسقف "نميسانوس"الذي أستشهد في 22 ديسمبر سنة 422م وأخته "يوليا جيليولا"التي استشهدت في 7 أكتوبر سنة 427م في قبو الكنيسة عن عمر يناهز 60 سنة والأسقف "دوناتوس" الذي يرجح وفاته بين 440و446م عن عمر يناهز 80سنة علاوة على عدد آخر من الأساقفة المتوفين في تواريخ لاحقة وهم "فكتور" الذي توفي في 21ديسمبر 433م عن عمر يبلغ 52سنة و"كريسكانسس"الذي توفي في 27فيفري 434م عن عمر يبلغ 55سنة و"دوناتوس" المتوفي في 11مارس 446م عن عمر يناهز 60 سنة، و"ماوروس"الشماس الذي توفي في 30 نوفمبر429م عن

[1] خالدية مضوي. المرجع السابق. ص29.

عمر يناهز 70 سنة وليس هناك ما يدعو إلى الاعتقاد باستمرار المذهب الدوناتي بعد سنة 446م ويدعم هذا الرأي معطيات النقوش التي تشير إلى الأسقف الكاثوليكي الذي تولى أسقفية البنيان[1].

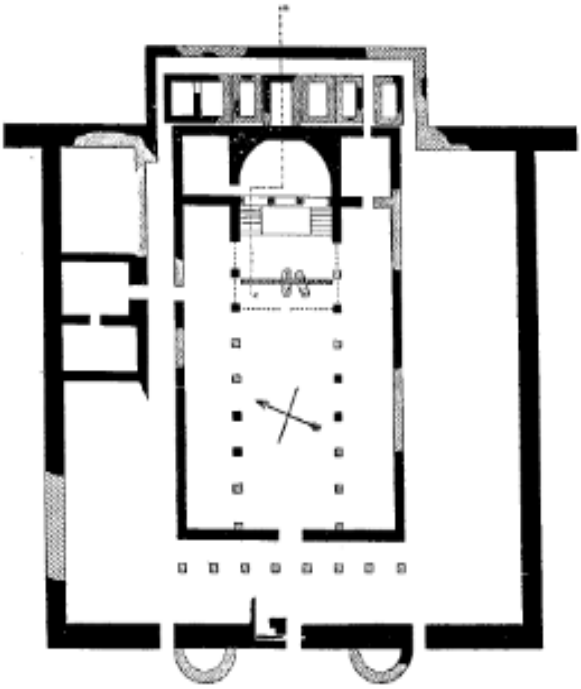

مخطط كنيسة ألا ملياريا

Gsell.St , Fouilles de Benian,op.cit,p19.

[1] خالدية مضوي.المرجع السابقز ص29.

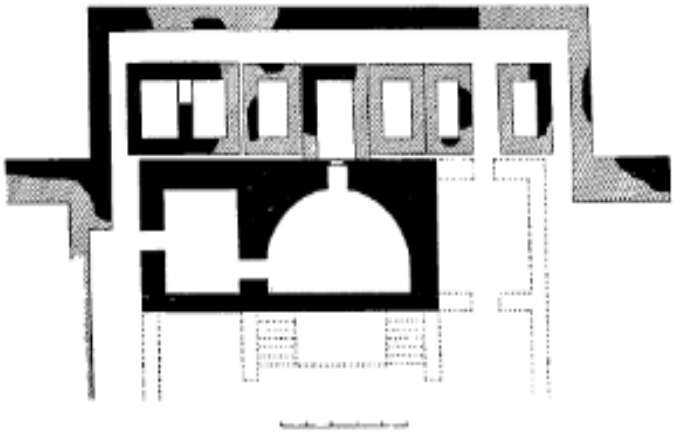

مخطط لموضع الأقبية الجنائزية السبعة شمال الحنية

Gsell.St , Fouilles de Benian,op,cit, p93

يتبين إذن من نقيشة "روبا" عدة حقائق منها أن الخلافات بين الدوناتيين والكاثوليك ببنيان "ألاميليايا" تفاقمت حدتها خلال السنوات التي أعقبت الغزو الوندالي ووصلت إلى درجة المواجهة المسلحة الدامية التي خلفت ضحايا من الجانبين، ومما يؤكد ذلك بقايا الفحم والرماد الذي عثر عليه بين أنقاض الكنيسة أثناء الحفريات وهو ما يعتبر دليلا على أنها تعرضت للحرق والتدمير بلا شك أثناء تسابق الطرفين للسيطرة عليها كما نستخلص منها أن الدوناتيين لم يسيطروا على "بنيان" فقط وإنما على مدن أخرى وفي الأخير يظهر أن نهاية الصراع الكاثوليكي الدوناتي حسمت لصالح الكاثوليك الذين أصبحت كنيسة المدينة بأيديهم ابتداءا من سنة 446م تاريخ آخر نقيشة متعلقة برجال الكنيسة الدوناتية ويستدل على ذلك من خلال نقيشة الأسقف الكاثوليكي الذي دفن تحت أرضية دهليز الكنيسة بعد هذا التاريخ[1].

هـ- ثورة القديسة "روبا" :

القديسة روباRobba h بنة منطقة الغرب الجزائري و أول قائدة أمازيغية قادت الثورة الأمازيغية بمنطقة معسكر و سيدي بلعباس و سعيدة، ولدت الرّاهبة روبا في منطقة سفيزف بولاية معسكر بمكان

[1] لخضر فاضل.المرجع السابق. ص86.

أصبح يعرف الآن بـ" جبل روبا " ، نشأت روبا في بيت كاثوليكي فهي اخت القس جرمانوس هونوراتوس اسقف حمام بوحنيفية[1].

برزت الرّاهبة روبا بتعاطفها مع انصار الحركة الدوناتية التي أسسها الأمازيغي أدونات Donatus فكانت تخفيهم في الدير الكاثوليكي عن الجنود الرومان لكنّها سرعان ما تبنّت المذهب الدوناتي وأصبحت تجاهر بعداوتها للكنيسة الكاثوليكية وللرومان فحثّت السّكان على النّهوض ضدّ الرومان واضطهاد الكنيسة الكاثوليكية ، فقادت ثورة عارمة ضد المعسكر الروماني ألالماليا الّذي كان بجوار قناة خط الليمس في مدخل منطقة سعيدة الّذي يربط باقي المعسكرات ببعضها و كذا قيامها بثورة أخرى ضد معسكر Lucu في تيمزغين بمنطقة يوب بولاية سعيدة.[2]

قتلها الكاثوليك بـ Ala miliaria بمنطقة البنيان بمعسكر في 20مارس 434 م فأصبح قبرها مزار لكل طوائف المذهب الدوناتي في شمال إفريقيا فكانت روبا الشعلة الّتي أيقضت باقي الأساقفة من بعدها ضد الرومان وأهمهم الاسقف فيكتور الّذي اكمل تلك الثورة. روبا اعتنقت الديانة المسيحية و التحقت بالمذهب الدوناتي المناوىء للكنيسة الكاثوليكية الرومانية، و توفيت مقتولة من طرف الكاثوليك ودفنت بكنيسة "ألالماليا" (البنيان بمعسكر حاليا) .[3]

أمّا ملخص الأستاذ بن زايخ الميلود وهو ليس مختصا في علم الآثار ولا في التاريخ كونه مفتش للتعليم الابتدائي بمقاطعة عوف، وعضو في الديوان المحلي للسياحة بلدية البنيان كان التالي:

تحدث عن عثوره على قطع نقدية معدنية ببلدية البنيان يعود تاريخ صكها إلى سنة 96 ميلادية أي قبل عهد الملكة روبا والحركة الدوناتية الّتي قادتها هذه الراهبة بين 429 و434 ميلادية ، كما لاحظ

[1] البوابة الالكترونية https://fr.wikipedia.org/، أطلع عليه يوم : 02-06-2022 على الساعة: 20:30

[2] المرجع السابق.

[3] نفس المرجع

أحد الباحثين المعقبين إعادة النظر في تاريخ الاحتلال الروماني في المنطقة.

ومن هذه التعليقات أن مدينة "ألاميليايا" البربرية كانت تحتل مرتبة إدارية هامة في فترة الاحتلال الروماني كما لاحظ الأستاذ بن زايخ أن الحركة الدوناتية التي إعتنقها الأساقفة والقساوسة من الأصول "البربرية" في ذلك العهد لم تكن مجرد صراع بين طائفتين دينيتين وإنما كان اختلافا عقائديا جوهريا، إذ يعتقد الأستاذ المحاضر أن "روبا" وأباها كانا مسيحيان موحدان أي ضد "التثليت" السائد لدى الكاثوليك آنذاك ويستدل على هذا الإعتقاد بعدم العثور على أي صليب يرمز إلى "التثليت" في أنقاض كنيسة "ألاميليايا."

ولدى تطرقه إلى شواهد القبور وما تضمنته من كتابات منقوشة والتي نقلت إلى متحف "اللوفر" بفرنسا، طلب المحاضر من السلطات المختصة أن تعمل على استرجاع هذه الآثار المسلوبة كونها جزء من الذاكرة التاريخية للجزائر، وأكد أنه شخصيا سيرفع رسالة في الموضوع إلى الجهات المعنية.

Épitaphe de la martyre donatiste Robba photographiée sur le site en 1899

مرثية للشهيد الدوناتي روبا في الموقع عام1899

ترجمة هذه المرثية إلى اللغة الفرنسية بمتحف لوفر بباريس فرنسا :[1]

« Mémoire de Robba, servante consacrée à Dieu, sœur d'Honoratus évêque d'Aquae Sirensis; ayant succombé sous les coups des traditeurs, elle mérita la dignité du martyre; elle vécut 50 ans et rendit l'esprit le 8e jour des calendes d'avril en l'année 395 de la province (25 mars 434) »

ترجمة النقيشة : "ذكرى روبا ، العبد المكرس حياته لله ، أخت هونوراتوس أسقف أكوا سيرينسيس ؛ بعد أن استسلمت تحت ضربات التجار ، استحقت كرامة استشهاد؛ عاشت 50 عامًا وتخلت عن روحها في اليوم الثامن من تقويم أبريل عام 395 للمقاطعة (25 مارس 434) "

[1] البوابة الالكترونية https://fr.wikipedia.org/، أطلع عليه يوم : 02-06-2022 على الساعة: 20:30

الخاتمة

الخاتمة :

مع بداية القرن الرابع للميلاد تنصرت السلطة و أباحت لنفسها التدخل في الشؤون الكنسية لتغليب الطرف الذي ترى فيه بأنه يمكن أن يساعدها في الحفاظ على التوازن في المنطقة وتستخدمه كوسيلة للدعاية لسلطتها لتتطور المقاومة بظهور الحركة الدوناتية التي ارتبطت بمحيطها النوميدي وتحالفت مع الثوار الفلاحين الذين ضاقت بهم السبل جراء تضييق الخناق عليهم من قبل الملاكين الرومان بواسطة استغلال جهدهم بعدما حرموهم من أرضهم التي تحولوا فيها إلى عمال موسميين،لا حق لهم ولا يختلفون عن فئة العبيد وثورة" الدوارين "ومن وراءها الحركة الدوناتية كحركة داعمة بالرجال الذين كانوا يتسارعون في طلب الاستشهاد وتحولت مقابر الشهداء إلى مزارات للأهالي تدفعهم نحو المقاومة وطلب الشهادة وتمكنت من إلحاق الأذى بالاقتصاد الروماني، وتراجع دفع الثروات من المنطقة نحو روما وتعطل الموظفون عن جباية الضرائب لغياب الأمن، وفر الملاكون باتجاه المدن الأكثر أمنيا وتم تحرير العبيد الذين شكلوا خزانا بشريا إضافيا لتلك الثورة التي هزت هيبة روما فتحركت لأجل التخلص منها ومن المحرضين عليها من الدوناتيين الذين صادرت أملاكهم ونفت زعماءهم كمحاولة للتخلص من الدوناتية وإخماد جذوتها إلا أن هذه الأخيرة نظمت نفسها من جديد لأنها تمتلك زادا بشريا يكاد يمثل الغالبية من الأهالي ، باعتبارها تعبر عن أهداف وتطلعات الناس الذين يعانون من الفقر والبؤس المعيشي نتيجة للقهر والاستغلال الروماني.

في الأخير وبعد اكمال هذه الدراسة البسيطة " **الصّراع الدّيني لبلاد المغرب القديم منذ بداية ظهور المسيحية إلى بداية القرن الخامس الميلادي** " تمكنا من التوصل إلى بعض النتائج :

- ✓ كانت منطقة " المغرب القديم " بؤرة توتر جراء صراعات خلال هذه الفترة من الاحتلال الروماني.
- ✓ عرف المغرب القديم دّيانات و معتقدات محلية و دخيلة سادت على المنطقة " وثنية إلى عبادة الامبراطور الروماني ".
- ✓ الموقع الجغرافي والمجال الاقتصادي ،وخاصَّةً الزِّراعي " الجيواستراتيجي" الّذي يتمتع به ،مما أدى إلى الاحتلال الروماني وسياسة الرومنة الّتي اتبعتها الإمبراطورية ضد السكان .

- ✓ بدأ الصراع الدّيني بين الديانتين الوثنية والدّيانة المسيحية انتقاله إلى الكنيسة الإفريقية " الكاثوليك والدوناتية".
- ✓ ظهور المسيحية أُعتبرَ تهديدا للوجود الروماني قبل تنصرها، أمّا الأهالي فكانت لهم ملاذًا آمنا ممّا كانوا يتعرضون له من اضطهادات و سياسات القمع.
- ✓ استغلال رجال الدّين لهذه الظرف من القمع والتنكيل بتقديم المساعدة للأهالي بغية التقرب منهم وكسبهم ونشر الدّيانة المسيحية .
- ✓ اعتلاء قسطنطين العرش وإعلان الإمبراطورية الرومانية الدّيانة المسيحية رّسمية لها، أدى إلى التحول الجذريي في المنطقة وذلك بمرسوم ميلان 312م، والّذي أزال كل العقبات الّتي كانت حاجزا للدّيانة الرومانية .
- ✓ تنصر الأباطرة للدّيانة المسيحية جعل المتنصرون من الأهالي يواجهون مشاكل أخرى ،حيث كان الأباطرة يسيِّرون الدّين وفق أهوائهم و مصالحهم، بالرغم أن المسيحية كانت دين المساواة والعدل والرحمة، فأصبحوا بين مواساة السلطة و إمّا الخروج عنها.

- ✓ ظهور انشقاق وصراعات داخل الكنيسة الإفريقية ،نتيجة اختلاف وانحراف مبادئ المسيحية عن الطريق وخدمة السلطة ومصالحها أدّى إلى ظهور الحركة الدوناتية، الّذين اسطاعوا فرض وجودهم وانتشارها بسرعة بين الأهالي المغرب القديم .
- ✓ انحراف الكنيسة الإفريقية عن مبادئها وخدمة مصالحها الخاصة، أدى إلى انشقاق الحركة الدوناتية الّذي تحول في النهاية إلى صراع و ثورات.
- ✓ ظهور الحركة الدوناتية وتوغلها في المنطقة شكل تهديد حقيقيا للرومان مما أرهق عاتقها بالمقاومة والثورات، وهذا لعجز السلطة الزمنية على تسوية مشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسة وحتى الدّينية الّتي كان يعاني منها المجتمع الروماني أولا والسكان المغرب القديم ثانيا .

- ✓ نشأت حركة الدوّارين في حضن الدوناتية بعد المراحل الّتي مرت بها من التناقض والاختلاف الى التلاحم ومساندة (التمرد الاجتماعي والتمرد الديني).
- ✓ ثورة فيرموس ذات البعد الدّين الاجتماعي الاقتصادي والسياسي والعسكري كبّدت خسائر فادحة لسلطة الرّومانية.
- ✓ وَلَّدَتْ ثورة فيرموس الرّغبة في التّحرر و ذلك في تجدّدها في أخيه جيلدون، و هي ثورة تحرير العبيد وسكان المنطقة وتخليصهم من قبضة الرومان.
- ✓ القديسة روبا قادت ثورة عارمة لم يسبقها ثورة قادتها امرأة ضد المعسكر الروماني، كان ضمن الثورات الّتي شنت ضدّ الرومان، فكانت تحث السكان على النّهوض ضدّ الرومان واضطهاد الكنيسة الكاثوليكية للدوناتيين
- ✓ كل هذه الصرّاعات السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية أدّت في النهاية إلى انقسام الإمبراطورية في الشرق عاصمتها بيزنطا والأخرى في الغرب عاصمتها روما والصراع بينهم حول إعادة توحيدهما ومنها سعت الشعوب المحتلة للتحرر .

مرّت الجزائر كقطعة من المغرب القديم بعدّة حضارات و ارهاصات و صراعات كانت لدينا مجهولة، عرَّفتنا إياها هاته الصفحات الّتي تحمل في طياتها تأريخ بلادنا العريق، متمنيين من الأجيال الصاعدة أن يستقرؤ ما لم يصلنا و يصححوا ما أخطأنا فيه، خاصة في ولايتنا **تيارت** الّتي يوجد بها آثار و نقوش **دوناتية**.

الملاحق

خريطة رقم3: رحلات بولس الرسول التبشيرية

عن موقع: المسيحية تنتشر- مكتبة برج المراقبة الالكترونية-jw.org

- **عبد الحميد عمران , الديانة المسيحية في المغرب القديم –النشأة والتطور 180م 430م , مذكرة دكتورة المفكرين الافارقة في الادب الاتيني في القرنين الثاني والثالث الملاديين , مذكرة المجستير , لمسيكة تفات تحت اشراف د.مُحَّد البشاري , 2010/2009 ص 88.**

انتشار المسيحية في بلاد المغرب سنة 300م [2]

صفاء جنحاني و فارس حمايتي , الديانة المسيحية في المغرب القديم الصراع المذهبي , مذكرة تخرج ماستر , جامعة حمة لخضر الوادي الجزائر , 2018/2017 ص178

عدد الاضطهادات من خلال المصادر القديمة:

المؤرخون / الأباطرة	لاكتانتيوس Lactantius 250-325م	أوزيبوس Eusebius 270-338م	القديس جيروم St. Jérôme 331-420م	سولبيس سيفير S. Sulpice 363-429م	بول أوروسيوس P. Orosius 385-418م	أوغسطين St. Augustin 354-430م
نيرون	+	+	+	+	+	+
فسباسيانوس						
دومتيانوس	+	+	+	+	+	+
تراجانوس			+	+	+	+
هدريانوس						
ماركوس أوريليوس		+	+	+	+	+
سبتيموس سفيروس		+	+	+	+	+
ماكسيمين الطراقي		+	+		+	+
دكيوس	+	+	+	+	+	+
فالريانوس	+		+	+	+	+
أوريليانوس	+		+		+	+

ربيع عولمي , المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في احداث القرن الرابع والخامس للميلاد , أطروحة الدكتورة تحت اشراف طاهر ذراع , جزء 1 , جامعة باتنة 1 , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , قسم التاريخ وعلم الاثار , سنة 2016/2015 ص699

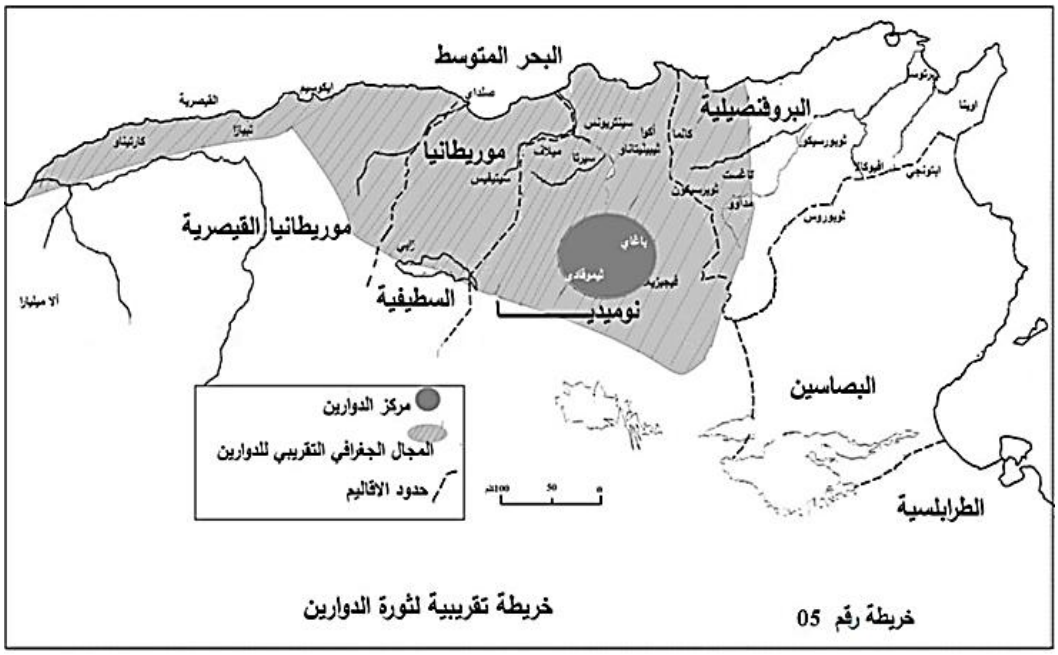

خريطة تقريبية لثورة الدوارين

خريطة رقم 05

- عبد الحميد عمران , الديانة المسيحية في المغرب القديم –النشأة والتطور 180م 430م , مذكرة دكتورة ,المفكرين الافارقة في الادب الاتيني في القرنين الثاني والثالث الملاديين , مذكرة المجستير , لمسيكة تفات تحت اشراف د.مُحَمَّد البشاري , 2010/2009 ص 254.

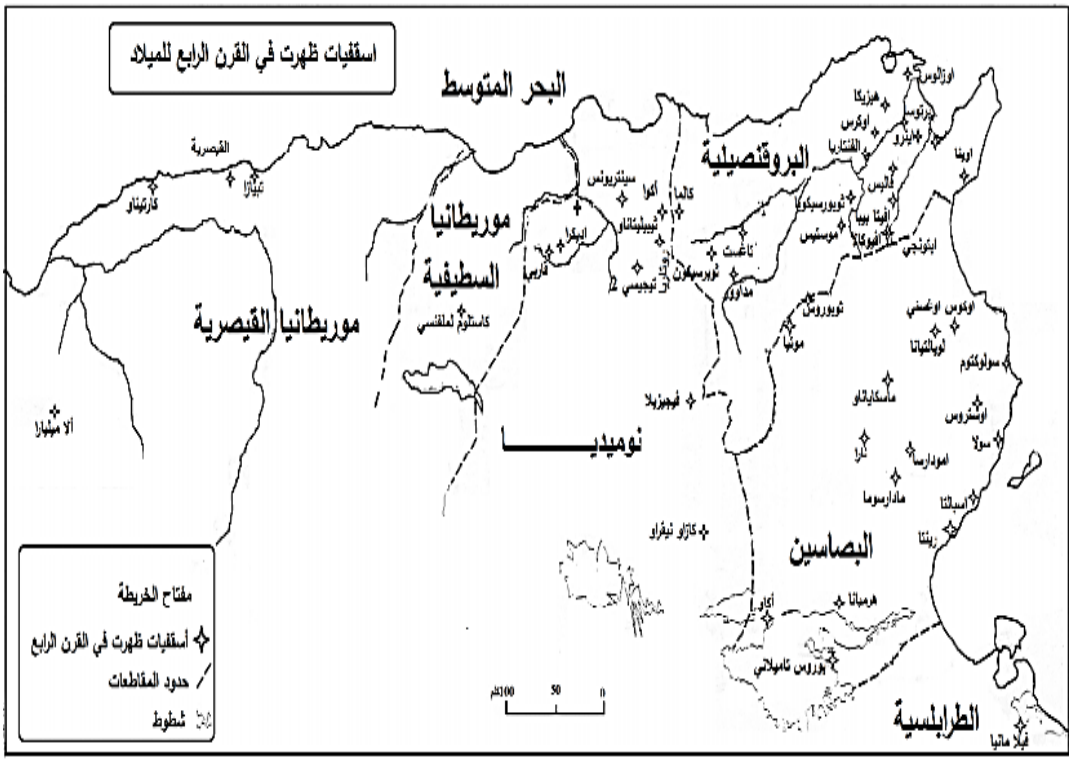

نفس المرجع ص 193

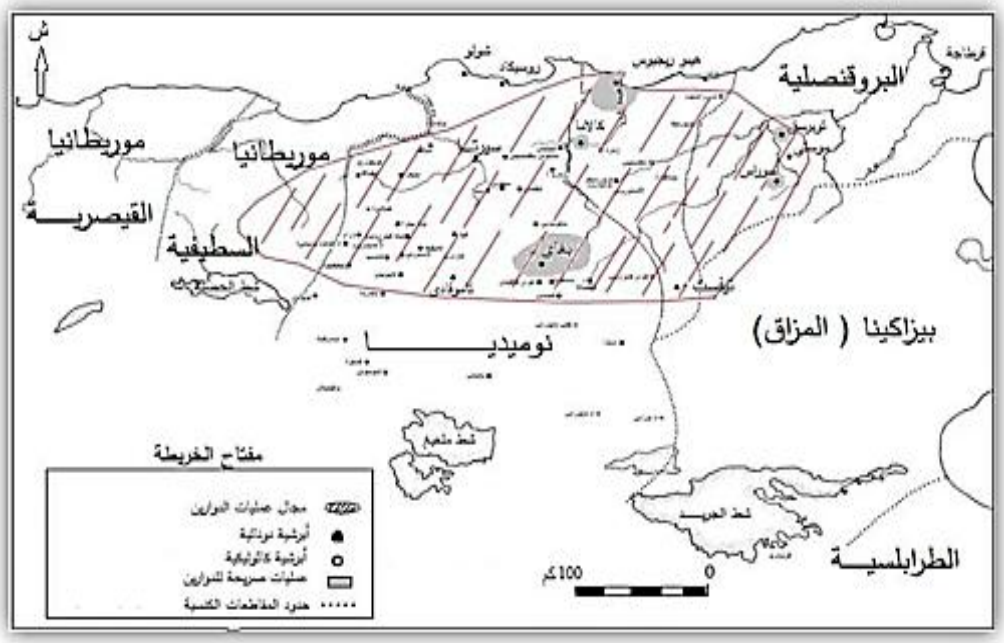

مجال حركة الدوارين في القرنين 4-5م

نقلا عن: محمد المنكر، شمال إفريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية (305-429م)، ط 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، 2001، ص 362.

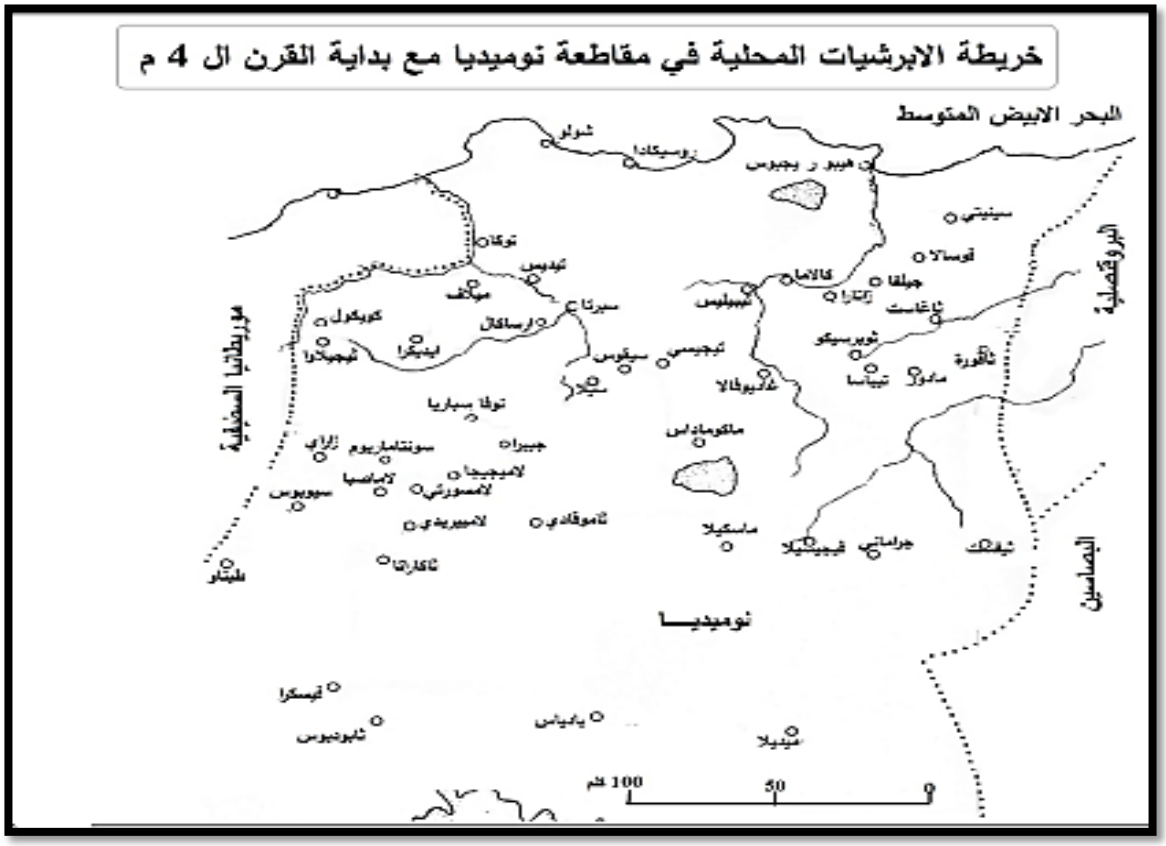

مصدر الخريطة : Serge Lancel et Paul Mattei , pax et concordia,,, carte hors-texte.

منقولة من (عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 162)

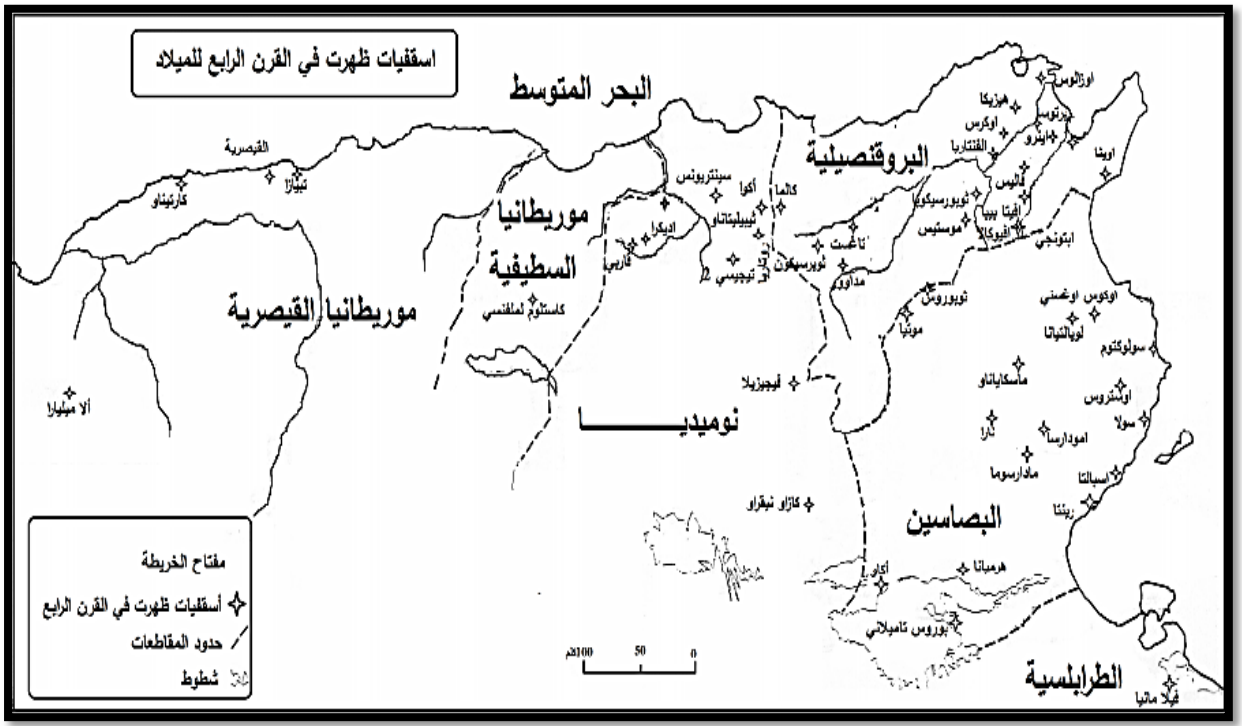

نفس المرجع ،ص 166.

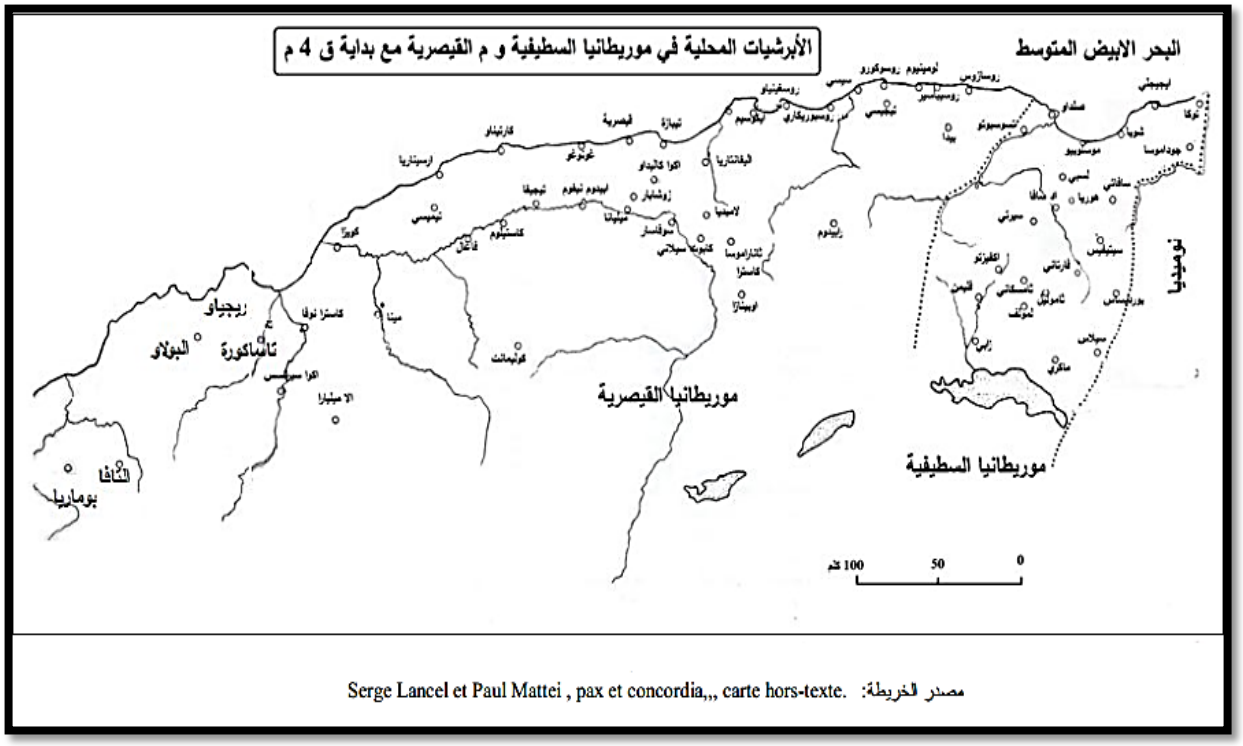

منقولة : عمران عبد الحميد ,المرجع السابق ,ص 189

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

قائمة المصادر و المراجع :

1. **مصادر باللّغة العربية :**

- أوروسيوس , تاريخ العالم , تر عبد الرحمان بدوري , مؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت وطبعة 1982.

- يوسابيوس القيصري , تاريخ الكنيسة , تر القمص المرفس داود, مكتبة المحبة , بوابة التاريخ وحضارة المغرب .

2. **مصادر باللّغة الأجنبية :**

Saint Augustin . Conférence avec les donatistes. Traduction Raulx M. Bar-Le-Duc L. Gueérin & Cie. Tome XIII. France.1869

3. **قائمة المراجع باللّغة العربية**

- لريستوفتزف , تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي ,تر زكي على و مُحَمَّد سليم سالم , مكتبة النهضة المصرية ,ج1.

- احمد توفيق المدني. قرطاجة في اربع عصور، من عصر الحجارة الى الفتح الاسلامي.المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. سنة 1986.
- أندري ايمار , تاريخ الحضارت العام , الجزء الثاني , ترجمة فريد داغر , بيروت
- اندري برنيان. اندري نوشي وايف لاكوست.الجزائر بين الماضي والحاضر. ترجمة اسطنبولي رابح ومنصف عاشور. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. سنة 1984..
- حفناوي بعلي. القديس اوغستين والمدينة الفاضلة. فيلسوف افريقيا والإنسانية. مجلة المعرفة.عدد 511.سنة 2009.
- خالدية مضوي. البنيان (Ala Miliaria) مدينة جزائرية من العالم القديم. —دورية كان التاريخية-.العدد العاشر. ديسمبر 2010.

- د عقون مُحَّد العربي , الاقتصاد والمجتمع في شمال الافريقي, دينوان النطبوعات الجامعية , بن عكنون الجزائر , 2008,
- د. محمود مُحَّد الحويري , رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ,ط 3 , دار المعارف ,1995
- رأفت عبد الحميد. الدولة والكنيسة.دار قباء للنشر والتوزيع والطباعة. القاهرة.ج2.
- رأفت عبد الحميد، الدولة و الكنيسة، الجزء الأول، دار قباء للنشر و التوزيع و الطباعة، القاهرة
- ربين دنيال , أصول النراث المسيحي فب شمال افريقيا , دراسة تاريخية من القرن الأول الى القرون الوسطى , تر : سمبر مالك ,دار المنهل حياة لبنان , 1999.
- سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث، أطلس الأديان، الطبعة الثانية، رياض.
- سليمان عشراتي. الشخصيات البربرية.ج1. دار الغرب للنشر والتوزيع. الجزائر.2002م.
- السيد احمد علي ناصري , تاريخ الإمبراطورية الرمانية السياسي والحضاري , ط 2 ,دار النهضة العربية , 1991 [1] السيد
- شارل اندري جوليان. تاريخ افريقيا الشمالية من البدء الى الفتح الاسلامي. تعريب: مُحَّد مزالي و البشير سلامة.ج2.ط2.الدار التونسية للنشر. تونس.1983م.
- شارل اندري جوليان. تاريخ افريقيا الشمالية.ج5. ترجمة :مزالي بن سلامة.تومس. 1969م..
- شافية شارن ,بلقاسم رحماني ,مُحَّد الحبيب البشاري ,الاحتلال الاستطاني وسياسة الرومنة , المركز الوطني للدراسات والأبحاث ,الجزائر 2007.
- عبد الرحمان بن مُحَّد الجيلالي.تاريخ الجزائر العام. ج1. ط2.مكتبة الشركة الجزائرية. لجزائر..
- عبد اللطيف احمد علي ,التاريخ الروماني ,عصر الثورة ,دار النهضة العربية ,مصر ,1967
- عثمان سعدي. الاب دونا، رجل الدين المسيحي المغاربي المناضل. حولية المجمع. مجمع اللغة العربية. طرابلس. العدد06. 2008م..

- عمار بوحوش. التاريخ السياسي للجزائر من البداية الى نهاية 1962. دار الغرب الاسلامي. الجزائر. ط2. 2005.
- عمار عمورة , الجزائر بوابة التاريخ ماقبل التاريخ الى 1962 , الجزء الأول , دار المعرفة , باب الواد,الجزائر

- فاضل لخضر. بنيان القديمة ألاميليايا. مجلة منبر التراث الاثري. العدد السابع.
- لبيب عبد الستار , الحضارات , دار المشرق ,طبعة 10 , بيروت , 1983
- محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، ترجمة صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1993.
- مُحَمَّد البشير شنيتي , أضواء على تاريخ الجزائر القديم , بحوث ودراسات , دار الحكمة , الجزائر ,2003م.

- مُحَمَّد البشير شنيتي ,التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ,المؤسسة الوطنية للكتاب ,الجزائر 1984.
- مُحَمَّد البشير شنيتي. الجزائر في ظل الاحتلال الروماني.(بحث في منظومة التحكم العسكري " الليمس " الموريتاني ومقاومة المور). ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1999.
- مُحَمَّد الحبيب بشاري. أوضاع الامبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي، ثورة جيلدون 397- 398.مجلة الاتحاد العام لاثريين العرب. العدد.13.
- مُحَمَّد الصغير غانم وآخرون، المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.
- مُحَمَّد مبارك الميلي . تاريخ الجزائر في القديم والحديث.ج1. ط3. المؤسسة الوطنية للكتاب.
- مُحَمَّد مبكر , شمال إفريقيا القديم حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية 305 م 429 م , الدار البيضاء , مطبعة النجاح الجديدة ط1, 2001

-المسيحية والترومن في شمال افريقيا من عهد ديوكليتيانوس الى الغزو الوندالي ,لمحمد مبكر ,طبعة الأولى ,2004,في ديبرانت الرباط

- هنري تشادويك. اوغستينوس. مقدمة قصيرة جدا.ترجمة احمد مُحَّد الروبي.هندروي للتعليم والثقافة.ط1. القاهرة . 2016.

4. قائمة المراجع باللّغة الأجنبية

- ALBERTINI Eugene. L'Afrique Romanie. Presse de L'imprimerie officielle. Alger : 1955
- Mesnage (J.P.), L'Afrique chrétienne, Évêchés et ruines antiquesd'après les manuscrits de Mgr.Toulote et les découvertes Archéologique les plus récentes, Paris 1912
- Brisson (J. P.), Autonomisme et Christianisme dans l'Afrique Romaine Paris, de Boccard, 1958
- Carles Buenacasa Pérez. L'étude." Les lettres antidonatistes d'Aaugustin: le vocabulaire employé pour dénoncer les crimes des donatistes. Univercité Charles de Gaulle- Lille 3. 2011
- Charles Joseph Hefele , Histoire des conciles , d'apres les documents origInaux, Paris, Letouzey Etane,1908,T 2
- découvertes Archéologiques les plus récentes, Paris, Ernest Leroux, 1912.,.
- Derdor ehcen. Annaba25 siecle de vie quotidienne et de lutte. Tome 1 sned alger 1982.
- Ernest mercier. L afrique septemtrionale. Tome 1 ernest le roux . paris 1888.
- Eusèbe de Césarée, vie de Constantin, II, paris 1686.
- Fernand Mourret, Histoire générale de l'église, Paris, Tome 2,

- Gibbon edward.histoire du declin et de chute de l'empire romain .rome de 96à582.par MFGUIZOT .ed robert laffont.paris1983.
- Gsell (St). L'Algérie dans L'antiquité. imprimeur.libraire éditeur. Alger 1903
- Gsell S.recherches archéologique en Algérie. (1983.
- H'arderdour ,Annaba.25 siecle de vie quotidienne et lutte . tome 1.Alger.1982.

- Martial (douel). L'Algérie romaine. Paris. 1930..
- Monceaux (P.), *Histoire Littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines Jusqu'a l'invasion arabe, Ernest Leroux, Paris, 7 tomes1901-1923..*

- Mouloud Gaid. Aguillids et Romains en berberie.2EME Edition. OPU ENAL. Alger. 1985.
- Saumagne (ch). « Ouvriers agricoles ou rodeurs de celliers ? Les Circoncellions d'Afrique ». A.H.E.S. T .IV.1934

5. أطروحات و مذكرات تخرج:

- أيحيي سعيدة , الديانة المسيحية في المغرب القديم من نهاية القرن 2 الى بداية القرن 5م 180-411م , أطروحة الدكتورة تحت اشراف رضا بن علال , جامعة الجزائر , 2017/2016 .

- بن عطيا الله عبد الرحمان , صراع الديني في المغرب القديم (الحركة الدوناتية والكنيسة الافريقيا) ,أطروحة لنيل شهادة الدكتورة ,تحت اشراف أ.د.حموم توفيق ,جامعة أبو القاسم سعد الله (الجزائر 2)
- جمال المسرحي , أوضاع الشرق الجزائري القديم من زوال المملكة النوميدية حتى غزوات الوندال ,أطروحة مذكرة ,جامعة باتنة-1- , سنة الجامعية 2018/2017.

- حميدة شنشن , رجال الدين في بلدان المغرب القديم من ظهور المسيحية في نهاية القرن الثاني للميلاد إلى غاية السلام المسيحي 313 م من خلال ترتوليانوس وكيبرايانوس , مذكرة ماجستر ,جامعة الجزائر , 2009.
- ربيع عولمي , المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في احداث القرن الرابع والخامس للميلاد , أطروحة الدكتورة تحت اشراف طاهر ذراع , جزء 1 , جامعة باتنة 1 , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , قسم التاريخ وعلم الاثار , سنة 2016/2015 .
- صفاء جنحاني و فارس حمايتي , الديانة المسيحية في المغرب القديم الصراع المذهبي , مذكرة تخرج ماستر , جامعة حمة لخضر الوادي الجزائر , 2018/2017 .

صفاء جنحاني و فارس حمايتي , مذكرة ماستر ,تحت اشراف راشدي جراية , جامعة حمة لخظر –الوادي ,2018/2017 .

- عبد الحميد عمران , الديانة المسيحية في المغرب القديم –النشأة والتطور 180م 430م , مذكرة دكتورة تحت اشراف مُحَّد الصغير غانم , جامعة منتوري قسنطينة , 2010/2011 .
- العود مُحَّد الصالح: التحولات الحضارية في شمال افريقيافي الفترة الوندالية، مذكرة مقدمة لنيل شيادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009/2010م .

6. المواقع الالكترونية:

- بوابة الإلكترونية مقالات , أ بن عطا الله عبد الرحمان , انتشار الديانة المسيحية في افريقيا خلال الاحتلال الروماني وموقف السلطة الرومانية منها , مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية , جامعة تبسة.

.

الفهرس

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الإهداء	
الشكر	
المقدمة	أ- ج
الفصل الأول : ظهور المسيحية في بلاد المغرب القديم	
1- بذور المسيحية في المغرب القديم	07
2- عوامل انتشار المسيحية	11
أ- العامل السياسي	11
ب- العامل الاقتصادي	12
ج-العامل الاجتماعي	12
د- العامل الديني	13
3- طرق انتقال المسيحية	14
أ- عبر الشرق	14
ب- التجارة	15
ت- الرسل	16
ث- روما	16
الفصل الثاني : مناطق انتشار المسيحية في المغرب القديم	
1. مقاطعة البروقنصلية	19
2. مقاطعة البصاسين	23
3. مقاطعة الطرابلسية	24
4. مقاطعة نوميديا	26
5. مقاطعة موريطانيا القيصرية	31
6. مقاطعة موريطانيا الطنجية	38
7. مقاطعة موريطانيا السطايفية	41
الفصل الثالث : موقف السلطة الرومانية من الديانة المسيحية (الفعل)	

1- الاضطهاد الديني	47
2- بداية الاضطهاد	51
3- فترة الاضطهادات العنيفة	53
4- نهاية الاضطهاد	55
5- مساندة السلطة الرومانية للكنيسة	56
الفصل الرابع : الكنيسة الإفريقية و بداية الانشقاق (الحركة الدوناتية)	
i الكنيسة الإفريقية و بداية الانشقاق	61
1. نشأة الكنيسة الإفريقية	61
2. التقسيم الكنسي في إفريقيا	63
3. ظهور الانشقاق (الانقسام و الصراع بين الكنيستين الكاثولكية و الدوناتية)	66
4. أسباب الانشقاق	68
ii . 1 الحركة الدوناتية	75
أ- أصل التسمية	75
ب- تاريخ ظهورها	77
ج- عوامل ظهور الحركة الدوناتية	81
د- الاطار الجغرافي لانتشار الدوناتية في المغرب القديم	85
iii. موقف السلطة الرومانية من الصراع الدوناتي الكاثوليكي	88
iv. الصراع الكاثوليكي الدوناتي	92
أ- موقف الدوناتيين من الكاثوليك	92
ب- موقف الكاثوليك من الدوناتيين	94
v. أوغستتي و الحركة الدوناتية أنموذجا	96
الفصل الخامس :الحركة الدوناتية و ثورات القرن الرابع الميلادي في بلاد المغرب القديم	
نبذة عن ثورات القرن الثالث ميلادي	100
أحداث باغاي و دورها في إذكاء الصراع 347م	101
1. ثورة الدوارين الريفية	105
أ- تعريف الدوارين	106

ب- أسباب و دوافع اندلاع ثورة الدوارين	108
ج- العلاقة بين الحركة الدوناتية و ثورة الدوارين	111
د- الاطار الجغرافي لانتشار حركة الدوارين في بلاد المغرب القديم	114
ثورة فيرموس و الحركة الدوناتية 372م-375م	116
ثورة جيلدن و الحركة الدوناتية 396م – 398م	118
2- مجمع قرطاج و مصير الدوناتية	119
3- الكنائس الدوناتية في موريطانيا القيصرية ألا ميلاريا أنموذجا	124
الخاتمة	136
الملاحق	140
قائمة المراجع	145
فهرس المحتويات	153